لضرورة وقته فهو يعمل ببدنه وهو غايب عن عمله حاضر بقلبه مع معشوقه * حكى عن أبي الحسن الجرجاني انه كان يعمل بالمسحاة دائما وكان يقول اعطينا اليد واللسان والقلب فاليد للعمل واللسان للخلق والقلب للحق * ولنقتصر على هذا القدر في قسم الطاعات الظاهرة ففيه الكفاية ان شاء الله

﴿ القسم الثالث فى تزكية القلب عن الاخلاق المذمومة ﴾

قال الله تعالى قد أفلح من تزكى وقال قد أفلح من زكاها * والتزكية هي التطهير * وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان فافهم منه ان كمال الايمان بتزكية القلب (١) عما لايحبه الله عز وجل وتحليته بما يحبه الله * فالتزكية شطر الايمان وكيف يشتغل بالطهارة من لا يعرف النجاسة فلنذكر الاخلاق المذمومة وهي كثيرة ولكن نحتاج ان نرد شعبها الى عشرة أصول *

---

(١) نعم ماقال بعض شعراء الفرس فيما له مناسبة بهذا البحث
دردل همه شرك روي برخاك چه سود * باجسم بليد وجامهٔ پاك چه سود
زهراست كناه توبه تریاق وي است * چون زهر بجان رسيد تریاق چه سود

﴿ الاصل الاوّل ﴾

شره الطعام وهو من الامهات لان المعدة ينبوع الشهوات اذ منها تتشعب شهوة الفرج * ثم اذا غلبت شهوة المأكول والمنكوح يتشعب منها شره المال اذ لا يتوصل الى قضاء الشهوتين الا به * ويتشعب من شهوة المال شهوة الجاه اذ يعسر كسب المال دونه * ثم عند حصول المال والجاه وطلبهما يزدحم الآفات كلها كالكبر والرياء والحسد والحقد والعداوة وغيرها ومنبع جميع ذلك البطن — فلهذا عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الجوع * فقال عليه السلام ﴿ ما من عمل احب الى الله تعالى من الجوع والعطش ﴾ وقال لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه * ﴿ وقال عليه السلام ﴾ سيد الأعمال الجوع ﴿ وقال عليه السلام ﴾ الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة ﴿ وقال عليه السلام ﴾ أفضلكم عند الله تعالى أطولكم جوعاً وتفكراً وأبغضكم الى الله تعالى كل اكول شروب نؤوم ﴿ وقال عليه السلام ﴾ ماملاء ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لامحالة فثلث

لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه * وقال عليه السلام ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاري الشيطان بالجوع والعطش * وقال عليه السلام لعايشة رضي الله عنها اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم * قالت كيف نديم قال عليه السلام بالجوع والظماء * وقال عليه السلام كلوا واشربوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة *

﴿ فصل ﴾

لعلك تشتهي ان تعلم السر في تعظيم الجوع ومناسبته لطريق الآخرة ﴿ فاعلم ﴾ ان له فوايد كثيرة ولكن يرجع اصولها الى سبع ﴿ احداها ﴾ صفاء القلب ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمى القلب * قال صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه ولا يخفى ان مفتاح السعادة المعرفة ولا تنال الا بصفاء القلب فلذلك كان الجوع قرع باب الجنة ﴿ الثانية ﴾ رقة القلب حتى يدرك به لذة المناجاة ويتأثر بالذكر والعبادة * وقال الجنيد يجعل احدكم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام * ويريد ان يجد حلاوة المناجات * ولا يخفى عليك ان

أحوال القلب من الخشية والخوف والرقة والمناجات والانكسار بالهيبة من مفاتيح ابواب الجنة وان كان باب المعرفة فوقه والجوع قرع لهذا الباب ﴿ الثالثة ﴾ ذلّ النفس وزوال البطر والطغيان منها فلا تكسر النفس بشيء كالجوع والطغيان داع الى الغفلة عن الله تعالى وهو باب الجحيم والشقاوة ﴿ والجوع ﴾ اغلاق لهذا الباب * وفي اغلاق باب الشقاوة فتح باب السعادة — ولذلك لما عرضت الدنيا عليه صلى الله عليه وسلم * قال لا بل أجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت * واذا شبعت شكرت ﴿ الرابعة ﴾ ان البلاء من أبواب الجنة لان فيه مشاهدة طعم العذاب وبه يعظم الخوف من عذاب الآخرة * ولا يقدر الانسان على ان يعذب نفسه بشيء كالجوع فانه لايحتاج فيه الى تكلف * وترتبط بها فوائد اخرى فيكون مشاهداً بلاء الله تعالى على الدوام ﴿ الخامسة ﴾ وهي من كبار الفوائد كسر شهوات المعاصي والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء وكسر سائر الشهوات التي هي منابع المعاصي * قال عليّ رضي الله عنه

﴿ماشبعت قط الا عصيت او هممت بالمعصية﴾ وقالت عايشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم اذا شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا ﴿السادسة﴾ خفة البدن للتهجد والعبادة وزوال النوم المانع من العبادة * فان رأس مال السعادة العمر * والنوم ينقص العمر اذ يمنع من العبادة * واصله كثرة الاكل * قال ابو سليمان الدارانيّ من شبع دخل عليه ست آفات ﴿فقد﴾ حلاوة العبادة ﴿وتعذر﴾ حفظ الحكمة ﴿وحرمان﴾ الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباعا ﴿وثقل﴾ العبادة ﴿وزيادة﴾ الشهوات وان ساير المؤمنين يدورون حول المساجد وهو يدور حول المزابل ﴿السابعة﴾ خفة المؤنة وامكان القناعة بقليل من الدنيا وامكان ايثار الفقر فان من تخلص من شره بطنه لم يفتقر الى مال كثير فيسقط عنه اكثر هموم الدنيا فمهما اراد ان يستقرض لقضاء شهوة البطن استقرض من نفسه وترك شهوته * كان اذا قيل لابراهيم ابن ادهم رحمة الله عليه في شيء انه غال * قال ارخصوه بالترك *

فصل

لعلك تقول قد صار الشبع والاكثار في الاكل عادة فكيف اتركها ﴿ فاعلم ﴾ ان ذلك يسهل على من اراده بالتدريج وهو ان ينقص كل يوم من طعامه لقمة حتى ينقص رغيفا في مقدار شهر فلا يظهر اثره ويصير التقليل عادته * ثم اذا اذعنت بالتقليل فلك النظر في الوقت والقدر والجنس * اما القدر فله ثلاث درجات ﴿ اعلاها ﴾ وهي درجة الصديقين الاقتصار على قدر القوام وهو الذي يخاف النقصان منه على العقل أو الحيوة * وهو اختيار سهل التستريّ * وكان يرى ان الصلوة قاعدا لضعفه بالجوع افضل من الصلوة قائما مع قوة الاكل ﴿ الثانية ﴾ ان تقنع بنصف مد كل يوم وهو ثلث البطن وعلى ذلك كان عادة عمر رضي الله عنه وجماعة من الصحابة اذ كان قوتهم في الاسبوع صاعا من شعير ﴿ الثالثة ﴾ المد الواحد وما جاوز ذلك فهو مشاركة مع اهل العادة وميل عن طريق السالكين المسافرين الى الله تعالى * وقد يؤثر في المقادير اختلاف الاحوال والاشخاص * وعند ذلك فالاصل فيه ان يمد اليد

اذا صدق جوعه ويكف وهو بعد صادق الاشتهاء* وعلامة صدق الجوع ان تشتهي اي خبز كان من غير أدم فاذا استثقل الاكل بغير أدم فهو علامة الشبع ﴿واما الوقت﴾ ففيه أيضا ثلاث درجات ﴿اعلاها﴾ ان ينطوى ثلاثة ايام فما فوقها *فقد كان الصديق رضى الله عنه يطوى ستة ايام * وابراهيم بن ادهم والثورى سبعا * وبعضهم انتهى الى اربعين يوما * وقيل من طوى اربعين يوما ظهرت له لامحالة اشياء من عجايب الملكوت ولا يمكن ذلك الا بالتدريج ﴿واما الاوسط﴾ بأن يطوي يومين ﴿والادنى﴾ بان يأكل فى اليوم مرة واحدة فمن أكل مرتين لم تكن له حالة جوع اصلا فيكون قد ترك فضيلة الجوع ﴿واما الجنس﴾ فأعلاه خبز البر مع الادام *وأدناه خبز الشعير بلا ادام* والمداومة على الادام مكروه جدا* قال عمر رضي الله عنه لولده * كل مرة خبزا ولحما ومرة خبزا وسمنا ومرة خبزا ولبنا ومرة خبزا وملحا ومرة خبزا قفارا * فهذا تنبيه على الاحسن فى اهل العادة ﴿واما السالكون الطريق﴾ فقد بالغوا فى ترك الادام بل في ترك الشهوات جملة حتى كان بعضهم

يشتهي الشهوة عشر سنين وعشرين سنة وهو يخالف نفسه ويمنعها شهواتها * وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم * وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس ويتشدقون في الكلام * وقد شرحنا طريق السلف في ترك الشهوات في كتاب كسر الشهوتين

﴿ الاصل الثاني شره الكلام ﴾

وذلك لابد من قطعه فان الجوارح كلها تؤثر اعمالها في القلب ولكن اللسان اخص به لانه يؤدي عن القلب مافيه من الصور فيقتضي كل كلمة صورة في القلب محاكية لها فلذلك اذا كان كاذبا حصل في القلب صورة كاذبة واعوج به وجه القلب واذا كان في شيء من الفضول مستغنى عنه اسود به وجه القلب واظلم حتى تنتهي كثرة الكلام الى اماتت القلب * ولذلك عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر اللسان فقال ﴿ من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه اتوكل له بالجنة ﴾ وسئل عن اكثر ما يدخل النار * فقال عليه السلام الاجوفان الفم والفرج * وقال عليه السلام وهل يكب الناس على مناخرهم

الا حصايد السنتهم * وقال من صمت نجا * وقال له معاذ اي الاعمال افضل فاخرج لسانه ووضع عليه يده * وقال ان اكثر خطايا ابن آدم في لسانه * وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت * وقال عليه السلام من كثر كلامه كثر سقطه * ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه * ومن كثرت ذنوبه فالنار اولى به — ولهذا كان الصديق رضى الله عنه يضع حجرا فى فيه ليمنع نفسه من الكلام

﴿ فصل ﴾

اعلم ان للسان عشرين آفة شرحناها في كتاب آفات اللسان ويطول ذكرها * ويكفيك العمل باية واحدة قال الله تعالى ﴿لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف﴾ الآية ومعناه ان لا تتكلم فيما لا يعنيك وتقتصر على المهم ففيه النجاة * قال انس رضى الله عنه استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه * وقالت هنيئا لك الجنة يا بني * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه

ويمنع مالا يضره * وحدّ مالا يعني هو الذي لو ترك لم يفت به ثواب ولم تنتجز به ضرورة * ومن اقتصر من الكلام على هذا قل كلامه * فليحاسب العبد نفسه عند ذكره مالا يعنيه انه لو ذكر الله تعالى بدلا عن تلك الكلمة لكان ذلك كنزا من كنوز السعادة فكيف يسمح العقل بترك كنز مكنوز واخذ مدرة هذا لو لم يكن فيه اثم * فان كان اثم فقد استبدل بترك كل كنز واخذ شعلة من النار * ومن جملة مالا يعنى حكاية الاسفار واحوال اطعمة البلاد وعاداتهم واحوال الناس واحوال الصناعات والتجارات وهو من جملة ماترى الناس يخوضون فيه *

﴿ فصل ﴾

لعلك تريد ان تعرف تفصيل بعض هذه الآفات ﴿ فاعلم ﴾ ان الغالب على الالسنة من جملة العشرين آفة خمسة ﴿ الكذب والغيبة والمماراة والمدح والمزاح ﴾ ﴿ الاولى ﴾ الكذب وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا * وقال صلى الله عليه وسلم

ويل للذي يحدّث فيكذب ليضحك منه الناس ويل له ويل له ﴿وقيل﴾ يارسول الله ايزني المؤمن أيسرق المؤمن * قال عليه السلام قد يكون ذلك فقيل له أيكذب * فقال لا انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله * وقال عليه السلام ألا أنبئكم باكبر الكباير ألا شراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فقعد * وقال عليه السلام الا وقول الزور * وقال عليه السلام كل خصلة يطبع الله عليها المؤمن الا الخيانة والكذب *

﴿فصل﴾

اعلم ان الكذب حرام فى كل شيء الاّ لضرورة حتى قالت امرأة لولدها الصغير تعالى حتى اعطيك * فقال النبي صلى الله عليه وسلم وماذا كنت تعطينه لو جاء قالت تمرة * قال اما لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة * فليحذر الانسان الكذب حتى فى التخيل وحديث النفس * فان ذلك يثبت في النفس صورة معوجة حتى تكذب الرؤيا فلا تنكشف فى النوم اسرار الملكوت والتجربة تشهد بذلك * نعم انما يرخص في الكذب

اذا كان الصدق يفضى الى محذور آخر اشد من الكذب فيباح كما تباح الميتة اذا ادى تركها الى محذور اشد من اكلها وهو فوات الروح * قالت ام كلثوم رضي الله عنها مارخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شئ من الكذب الا في ثلاث * الرجل يقول القول يريد الاصلاح * والرجل يقول القول في الحرب * والرجل يحدث امرءته * وهذا لان اسرار الحرب لو وقف عليها العدو اجترأ * واسرار الزوج لو وقفت عليها المرءة نشأ منها فساد أعظم من فساد الكذب وكذلك المتخاصمان تدوم بينهما المعصية والعداوة فاذا امكن الاصلاح بكذب فذلك اولى * فهذا ماورد فيه الخبر ومافي معناه كذب الانسان ليستر مال غيره عن ظالم أو انكاره لسر غيره بل انكاره لمعصية نفسه عن غيره فان المجاهرة بالفسق واظهاره حرام وانكاره جناية نفسه على غيره لتطيب قلبه وكذلك انكاره مع زوجته ان تكون ضرتها أحب اليه وكل ذلك يرجع الى دفع المضرات * ولا يباح لجلب زيادة مال وجاه وفيه يكون كذب اكثر الناس * ثم اذا اضطر الى الكذب فليعدل

الى المعاريض ما امكن حتى لا يعتاد نفسه الكذب * كان ابراهيم بن ادهم اذا طلب في الدار قال لخادمته قولى له اطلبه في المسجد * وكان الشعبي يخط دايرة * ويقول لخادمته ضعى الاصبع فيها * وقولى ليس ههنا * وكان بعضهم يعتذر عند الامير ويقول منذ فارقتك ما رفعت جنبي من الارض الا ما شاء الله تعالى * وكان بعضهم ينكر ما قال فيقول ان الله ليعلم ماقلت من ذلك من شيء فيوهم النفى بحرف ﴿ ما ﴾ وهو يريد غير ذلك * وتباح المعاريض لغرض خفيف لقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز ونحملك على ولد البعير وفى عيني زوجك بياض لان هذه الكلمات اوهمت خلاف ما اراد * فيباح مثل ذلك مع النساء والصبيان لتطيب قلوبهم بالمزاح — وكذلك من يمتنع عن أكل الطعام فلا ينبغى ان يكذب ويقول لا اشتهى اذا كان يشتهى بل يعدل الى المعاريض * قال النبي عليه السلام لامرءة قالت ذلك لاتجمعي كذبا وجوعا *

﴿ الآفة الثانية الغيبة ﴾

قال الله تعالى ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ وقال عليه السلام الغيبة أشد من الزنا واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة * ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار * وقال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظفارهم * فقيل لى هؤلاء الذين كانوا يغتابون الناس ﴿ واعلم ﴾ ان حد الغيبة كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه وان كنت صادقا سواء ذكرت نقصانا في نفسه أو عقله أو ثوبه او فعله او قوله او داره أو نسبه اودابته اوشيئا مما يتعلق به حتى قولك انه واسع الكم او طويل الذيل * حتى ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقيل ما اعجزه فقال عليه السلام اغتبتموه واشارت عائشة رضى الله عنها بيدها الى امرءة انها قصيرة * فقال عليه السلام اغتبتها * فبهذا يعلم ان الغيبة لا تقتصر على اللسان بل لا فرق بين أن يحصل التفهيم

باليد او بالرمز او بالاشارة او بالحركة او بالمحاكاة او التعريض المفهم كقولك ان بعض اقربائنا وبعض اصدقائنا كذا كذا ﴿ واعلم ﴾ ان اخبث أنواع الغيبة غيبة القراء * يقولون مثلا الحمد لله الذى لم يبتلينا بالدخول على السلطان لطلب الدنيا ونعوذ بالله من قلة الحياء وهم يفهمون المقصود بذلك * يقولون ما أحسن احوال فلان لو لا انه بلي بمثل ما ابتلي به امثالنا وهو قلة الصبر عن الدنيا فنسئل الله تعالى ان يعافينا * وغرضهم بذلك الغيبة فيجمعون بين الغيبة والرياء واظهار التشبه باهل الصلاح فى الحذر من الغيبة * وهذه خبايث يغترون بها وهم يظنون انهم تركوا الغيبة — وكذلك قد يغتاب واحد فيغفل عنه الحاضرون فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى ينتبه القوم الى الاصغاء فيستعمل ذكر الله في تحقيق خبثه * ويقول قلبي مشغول بفلان تاب الله علينا وعليه وليس غرضه الدعاء بل التعريف ولو قصد الدعاء لأخفاه ولو اغتم قلبه لاجله لكتم عيبه ومعصيته — وكذلك المستمع قد يظهر تعجباً من كلام المغتاب حتى يزيد نشاطه فى الغيبة * والمستمع احد المغتابين

كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف اذا حرّك نشاطه بالتعجب * وكذلك قد يقول دع غيبة فلان وهو بقلبه غير كاره لغيبته انما غرضه ان يعرف بالتورع — وذلك لا يخرجه عن اثم الغيبة مالم يكرهها بقلبه ويورّطه في اثم الرياء بل يخرج من الاثم بان يكرهه قلبه ويكذب المغتاب ولا يصدقه عليه لانه فاسق يستحق التكذيب والمسلم المذكور بالغيبة يستحق احسان الظن به * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وماله وان يظن به ظن السوء * فالغيبة بالقلب حرام كما انه باللسان حرام الا ان يضطرّ الى معرفته بحيث لا يمكنه التجاهل *

فصل

انما يرخص في الغيبة في ستة مواضع ﴿ الاول ﴾ منها المتظلم يذكر ظلم الظالم عند سلطان ليدفع ظلمه فاما عند غير سلطان وعند غير من لا يقدر على الدفع فلا ﴿ اغتياب الحجاج ﴾ عند بعض السلف * فقال ان الله لينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه ﴿ الثاني ﴾ الذى يستعان به على تغيير

المنكر يجوز ان يذكر له أيضاً ﴿ الثالث ﴾ المستفتى اذا افتقر الى ذكر السؤال كما قالت هند ان أبي سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني — وهذا كله شكاية ولكن انما يحل اذا كانت فيها فائدة ﴿ الرابع ﴾ تحذير المسلم من شر الغير اذا علم انه لو لم يذكره لقبلت شهادته كما يذكر المزكى اذ يعامل ويناكح فيتضرر به فيذكر لمن يتوقع ضرره به فقط ﴿ الخامس ﴾ ان يكون معروفا باسم فيه عيبه كالاعمش والاعرج فالعدول الى اسم آخر أولى ﴿ السادس ﴾ ان يكون مجاهرا بذلك العيب لا يكرهه ان يذكر كالمخنث وصاحب الماخور[1] قال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهواء والفاسق المعلن بالفسق والامام الجابر * وهؤلاء يجمعهم انهم مجاهرون لا يكرهون الذكر * والصحيح ان ذكر الفاسق بمعصية يخفيها ويكره ذكرها لايجوز من غير عذر *

فصل

علاج النفس فى كفها عن الغيبة ان يتفكر في الوعيد الوارد

---

(١) الماخور الموضع الذي يباع فيه الخمر

فيها في قوله صلى الله عليه وسلم ان الغيبة أسرع في حسنات العبد من النار في اليبس * وورد ان حسنات المغتاب تنقل الى ديوان المظلوم بالغيبة فينظر في قلة حسناته وكثرة غيبته وانه ينتهي الى افلاسه على القرب ثم يتفكر في عيوب نفسه فان كان فيه عيب فيشتغل بنفسه عن غيره وان كان قد ارتكب صغيرة فيعلم ان ضرره من صغيرة نفسه اكثر من ضرره من كبيرة غيره وان لم يكن فيه عيب فيعلم ان جهله بعيوب نفسه اعظم عيب * ومتى يخلو الانسان من عيب ثم ان خلا عنه فليشكر الله تعالى بدلا من الغيبة فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من أعظم العيوب فليحذر منه * ثم مهما سبق لسانه الى الغيبة فينبغي ان يستغفر الله تعالى ويذهب الى المغتاب ويقول ظلمتك فاعف عني فيستحله فان لم يصادفه فليكثر من الثناء عليه ومن الدعاء له ومن الحسنات حتى اذا نقل بعضها الى ديوان المظلوم بقي له ما يكفيه فهي كفارة الغيبة

﴿ الآفة الثالثة المراء والمجادلة ﴾

قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له

بيت في أعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة وهذا لان الترك على المحق أشد * وقال عليه السلام لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وهو محق * ﴿وحد المراء﴾ هو الاعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما فى اللفظ واما فى المعنى * والباعث عليه تارة الترفع باظهار الفضل * وسببه خبث الرعونة * واما السبعية التى في الطبع المتشوفة الى تنقيص الغير وقهره * فالمراء والمجادلة تقوية لهذين الخبيثين المهلكين بل الواجب ان يصدق ما سمعه من الحق ويسكت عما سمعه من الخطاء الا اذا كان في ذكره فائدة دينية وكان يسمع منه فيذكره برفق لا بعنف *

﴿ الآفة الرابعة المزاح ﴾

والافراط فيه يكثر الضحك ويميت القلب ويورث الضغينة ويسقط المهابة والوقار * قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه فيهوى بها أبعد من الثريا وقال عليه السلام لا تمار أخاك ولا تمازحه ﴿ واعلم ﴾ ان اليسير منه فى بعض الاوقات لا بأس به لا سيما مع النساء والصبيان

تطييباً لقلوبهم نقل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه قال اني لأمزح ولا أقول الا حقا * ويعسر على غيره ضبط ذلك وقد روى انه سابق عائشة رضي الله عنها بالعدو * وقال عليه السلام لعجوز لا يدخل الجنة عجوز أى لا يبقى عجوزا في الجنة [1] * وقال لصبي يا أبا عمير ما فعل النغير * والنغير ولد العصفور كان يلعب به الصبي * وقال صلى الله عليه وسلم لصهيب وهو يأكل التمر أتأكل التمر وأنت رمد * وقال انما آكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم * فهذا وأمثاله من المفاكهة لا بأس بها بشرط ان لا يتخذها عادة *

﴿ الآفة الخامسة المدح ﴾

كما جرت به عادة الناس عند المحتشمين [2] من ابناء الدنيا وكما جرت به عادة القصاص والمذكرين * فانهم يمدحون من يحضر مجالسهم من الاغنياء * وفي المدح ست آفات ﴿ أربع ﴾ على المادح ﴿ واثنتان ﴾ على الممدوح * اما المادح ﴿ فالآفة الاولى فيه ﴾

---

(١) وفي النسخة العراقية لا يدخل الجنة عجوز أي لا يبقى في الجنة عجوزا (٢) أي الاكابر والسلاطين

انه قد يفرط فيه فيذكره بما ليس فيه فيكون كذابا ﴿الثانية﴾ انه قد يظهر له من الحب مالا يعتقده فيكون منافقا مرائيا ﴿الثالثة﴾ انه يقول مالا يتحققه فيكون مجازفا كقوله انه عدل وانه ورع وغير ذلك مما لا يتحقق فيه * مدح رجل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا * فقال عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك ان كان لا بد من كون احدكم مادحا أخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكى على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك ﴿الرابعة﴾ ان يفرح الممدوح به وربما كان ظالما فيعصي بادخال السرور على قلبه * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق * وقال الحسن من دعا لفاسق بالبقاء فقد أحب ان يعصى الله * فالظالم الفاسق ينبغى ان يذم لتفتر رغبته فى الظلم والفسق ﴿وأما الممدوح﴾ فاحدى الآفتين فيه أن يحدث فيه كبرا أو اعجابا وهما مهلكان — ولذلك قال قطعت عنق صاحبك ﴿الثانية﴾ أن يفرح به فيفتر عن العمل ويرضى عن نفسه * قال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثنى عليه فى وجهه * واما

اذا سلم المدح من هذه الآفات في المادح والممدوح فلا بأس به وربما يندب اليه * قال صلى الله عليه وسلم لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح * وقال صلى الله عليه وسلم لو لم أبعث لبُعِثتَ ياعمر * وقد اثنى علي كثير من الصحابة اذ علم ان ذلك يزيد في نشاطهم ولا يورثهم عجبا *

فصل

حق على الممدوح ان يتأمل فى خطر الخاتمة ودقايق الرياء وآفات الاعمال * ويتذكر ما يعرفه من نفسه من القبايح الباطنة لا سيما فى أفكاره وحديث نفسه مالو عرفه المادح لكُفّ عن المدح * وينبغى أن يظهر كراهة المدح ويكره بالقلب * واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم احثُوا التراب في وجوه المداحين * وقال بعضهم لما اثنى عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الىّ بمقتك وانا أشهدك على مقته * فقال علىّ رضى الله عنه لما اثنى عليه ﴿ اللهم اغفر لى مالا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون ﴾

﴿ الاصل الثالث فى الغضب ﴾

اعلم ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التى

تطلع على الافئده * ومن غلب عليه فقد نزع الى عرق الشيطان فانه مخلوق من النار * وكسر شدّة الغضب من المهمات فى الدين * قال صلى الله عليه وسلم ﴿ ليس الشديد بالسرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ﴾ وقال عليه السلام ﴿ الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل ﴾ وقال عليه السلام ماغضب أحد قط الا اشفى على جهنم * وقال رجل يا رسول الله اىّ شيء أشد قال غضب الله قال فما ينقذني من غضب الله * قال ان لا تغضب * وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرني بعمل وأقلّل فقال عليه الصلوة والسلام لا تغضب فاعاد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا وهو يقول لا تغضب * فكيف لا تعظم آفة الغضب وهو يحمل فى الظاهر على الضرب والشتم واطالة اللسان وفي الباطن على الحقد والحسد واظهار السوء والشماتة والعزم على افشاء السرّ وهتك الستر والفرح بمصيبة المغضوب عليه والغم بمسرته * وكل واحد من هذه الخبائث مهلك *

فصل

عليك في صفة الغضب وظيفتان ﴿ احداهما ﴾ كسره بالرياضة ولست أعني بكسره اماطته فانه لا يزول اصله ولا ينبغي ان يزول بل ان زال وجب تحصيله لانه آلة القتال مع الكفار والمنع من المنكرات وكثير من الخيرات وهو ككلب الصايد انما رياضته في تأديبه حتى ينقاد للعقل والشرع فيهيج باشارة العقل والشرع ويسكن باشارتهما ولا يخالفهما كما ينقاد الكلب للصياد — وهذا ممكن بالمجاهدة وهو اعتياد الحلم والاحتمال مع التعرض للمغضبات ﴿ الثانية ﴾ ضبط الغضب عند الهيجان بالكظم * ويعين عليه علم وعمل ﴿ أما العلم ﴾ فهو ان يعلم انه لا سبب لغضبه الا انه انكر ان يجري الشيء على مراد الله لا على مراده * وهذا غاية الجهل * والآخر ان يعلم ان غضب الله عليه أعظم من غضبه عليه وان فضل الله أكبر * وكم عصاه وخالف امره فلم يغضب عليه ان خالفه غيره فليس أمره عليه ألزم على عبده واهله ورفقته من امر الله عليه ﴿ واما العمل ﴾ فهو ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اذ يعلم ان ذلك من الشيطان

فان لم يسكن جلس ان كان قائما ويضطجع ان كان قاعدا كذلك ورد الخبر باختلاف الحال انه يؤثر فى التسكين * وان لم يسكن فيتوضأ * قال عليه الصلوة والسلام * ان الشيطان خلق من النار وانما تُطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وقال عليه السلام ألا ان الغضب جمرة فى قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليضرب خده بالارض * وهذه اشارة الى تمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع لينكسر الكبر فانه السبب الاعظم في الغضب ليعلم انه عبد ذليل فلا يليق به الكبر * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بالحلم درجة القائم الصائم وانه ليكتب جبارا ومايملك الا اهل بيته * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله تعالى قلبه يوم القيامة أمنا وايمانا﴾ وقال عليه السلام مامن جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله جوفه ايمانا *

﴿ الاصل الرابع في الحسد ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ﴾ وقال عليه السلام ثلاث لا ينجو منهن احد ﴿ الظن والطيرة والحسد ﴾ وسأحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ * وقال عليه السلام دبّ اليكم داء الامم قبلكم ﴿ الحسد والبغضاء ﴾ والبغضة هي الحالقة * وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي مسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي ﴿ واعلم ﴾ ان الحسد حرام وهو ان تحب زوال النعمة من غيرك او تحب نزول مصيبة به * ولا تحرم المنافسة وهي ان تغبطه وتشتهي لنفسك مثله ولا تحب زوالها منه * ويجوز ان تحب زوال النعمة ممن يستعين بها على الظلم والمعصية لانك لا تريد زوال النعمة وانما تريد زوال الظلم * وعلامته انه لو ترك الظلم والمعصية لم تحب زوال نعمته * وسبب الحسد اما الكبر واما العداوة واما خبث النفس اذ يبخل بنعمة الله على عباده من غير غرض فيه له *

فصل

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلب * ومرض القلب لا يداوى الا بمعجون العلم والعمل ﴿فاما العلاج العلمي﴾ فهو ان يعلم ان حسده يضره ولا يضر محسوده بل ينفعه * اما انه يضره فهو انه يبطل حسناته ويعرضه لسخط الله تعالى اذ يسخط قضاء الله ويشح بنعمته التى وسعها من خزائنه على عباده وهذا ضرر في دينه ﴿واما ضرره فى دنياه﴾ فهو انه لا يزال فى غم دايم وكمد لازم وذلك مراد عدوه منه فان اهم اغراض عدوه واكمل النعمة عليه حزن حاسده * فقد كان يريد المحنة لعدوه فحصلت له * والحسود لا يخلو قط من الغم والمحنة اذ لا يزال اعداؤه او واحد منهم في نعمة ﴿واما انه﴾ ينفع عدوه ولا يضره لان النعمة لا تزول بحسده وانه يضاعف حسناته اذ تنقل حسنات الحاسد * اليه لا سيما اذا طول اللسان فيه فانه مظلوم من الحاسد فقد طلب الحاسد زوال نعمة الدنيا منه فاضاف اليه نعمة الآخرة وحصل لنفسه مع عذاب الدنيا عذاب الآخرة فهو كمن رمى عدوه

بحجر فلم يصب عدوه وعاد الى عينه فاعماها * وزادت عليه شماتة عدوه ابليس فانه فاتته النعمة وفاته الرضاء بالقضاء * ولو رضي به لكان فيه ثواب لاسيما اذا حسد على العلم والورع فان محب العالم يعظم ثوابه ﴿ واما العلاج العملي ﴾ فهو ان يعرف حكم الحسد وما يتقاضاه من قول وفعل فيخالفه ويعمل بنقيضه فيثني على المحسود ويظهر الفرح بنعمته ويتواضع له وبذلك يعود المحسود صديقا له ويزائله الحسد ويتخلص عن اثمه والمه قال الله تعالى ﴿ ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ﴾

فصل

لعلّ نفسك لاتطاوعك على التسوية بين عدوك وصديقك بل تكره مساءة الصديق دون العدو وتحب نعمة الصديق دون العدوّ ولست مكلفا بما لاتطيق فان لم تقدر على ذلك فتتخلص من الاثم بامرين ﴿ احدهما ﴾ ان لاتظهر الحسد بلسانك وجوارحك واعمالك الاختيارية بل تخالف موجبها ﴿ والثاني ﴾ ان تكره من نفسك حبها زوال نعمة الله تعالى

عن عبد من عباده فاذا اقترنت الكراهة عن باعث الدين بحب زوال النعمة التى اقتضاه الطبع اندفع عنك الاثم وليس عليك تغيير الطبع فان ذلك لاتقدر عليه في اكثر الاحوال وعلامة الكراهية ان تكون بحيث لو قدرت على ازالة نعمته لم تقدم على الازالة مع حبك لها ولو قدرت على معونته فى دوام نعمته او فى زيادتها فعلت مع كراهيتك لذلك * فاذا كنت كذلك فلا اثم عليك فيما يتقاضاه طبعك فان الطبع انما يصير مقهورا فى حق المستهتر بالله الذي انقطع نظره عن الدنيا وعن الخلق * بل علم ان المنعم عليه ان كان فى النار فما تنفع هذه النعمة وان كان في الجنة فاي نسبة لهذه النعمة الى الجنة بل يرى كل الخلق عباد الله تعالى فيحبهم لانهم عباد لمحبوبه ويحب ان يظهر اثر نعمة محبوبه علي عباده * وهذه حالة نادرة لاتدخل تحت التكليف *

﴿ الاصل الخامس في البخل وحب المال ﴾

واعلم ان البخل من المهلكات العظيمة قال الله تعالى ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ وقال الله تعالى ولاتحسبن

الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ﴾ الآية وقال الله تعالى ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ الآية وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والبخل فانه اهلك من كان قبلكم * وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي * والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل وقال عليه السلام ثلاث مهلكات ﴿ شح مطاع وهوى متبع وأعجاب المرء بنفسه ﴾ وقال عليه السلام ﴿ شرّ ما في الرجل شح هالع وجبن خالع [1] ﴾ وقال عليه السلام ان الله يمقت البخيل في حياته ويحب السخي عند موته * وقال عليه السلام السخي الفاجر احب الى الله من العابد البخيل [2] * وقال عليه السلام لا يجتمع اثنان في مؤمن البخل وسوء الخلق *

فصل

اعلم ان اصل البخل حب المال وهو مذموم ومن لا مال له لا يظهر بخله بالامساك ولكن يظهر بحب المال * ورب رجل

---

(١) هلع هلعاً من باب تعب أي جزع وقوله خالع الخلع نزع الشيء واخراجه (٢) وفي النسخة الدمشقية والعراقية السخي الجهول

سخي لكنه يحب المال فيسخى به ليُذكر بالسخاء * وذلك أيضا مذموم لان حب المال يلهي عن ذكر الله عز وجل ويصرف وجه القلب الى الدنيا ويحكم علاقته فيها حتى يثقل عليه الموت الذي فيه لقاء الله تعالى قال الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ﴾ وقال الله تعالى انما أموالكم واولادكم فتنة * وقال تعالى الهيكم التكاثر * وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا * وقيل للنبي عليه الصلوة والسلام اىّ أمتك أشرٌ فقال عليه السلام الاغنياء * وقال عليه السلام من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال رجل يارسول الله اني لا احب الموت قال عليه السلام هل لك مال قال نعم * قال عليه السلام قدم مالك فان قلب الرجل مع ماله ان قدمه أحبّ ان يلحقه وان أخره أحب ان يتخلف * وقال عليه الصلوة والسلام اذا مات العبد قالت الملائكة ماقدم * وقال الناس ما خلف * وقال عليه الصلوة والسلام

تعس [١] عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش * [٢]

فصل

اعلم ان المال ليس مذموما من كل وجه * وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح * وقال عليه الصلوة والسلام ﴿ الدنيا مزرعة الآخرة ﴾ وكيف يكون مذموما مطلقا والعبد مسافر الى الله تعالى والدنيا منزل من منازل سفره وبدنه مركبه ولا يمكنه السفر الى الله الا به ولا يبقى البدن الا بمطعم وملبس ولا وصول اليهما الا بالمال لكنّ من فهم فايدة المال وعلم انه آلة علف الدابة لسلوك الطريق لم يُعرِّج عليه ولم يأخذ منه الا قدر الزاد فان اقتصر على ذلك سعد به

---

(١) تعس بفتح العين أى سقط على وجهه وفي الدعاء تعساً له وتعس وانتكس فالتعس أن يخذل وجهه والنكس أن لا يستقل بعد سقطته

(٢) أي اذا وصل شوك في عضوه فلا انتقش على بناء المبني للمفعول دعاء عليه بعدم اخراجه بالمنقاش يعنى اذا وقع في البلاء فلا يترحم عليه وانما خص انتقاش الشوك بالذكر لان الانتقاش أسهل ما يتصور فى المعاونة لمن أصابه مكروه واذا نفى ذلك الاهون فما فوقه بالطريق الاولى

كما قال النبي عليه السلام لعائشة رضى الله عنها ﴿ اذا اردت اللحاق بي فاقنعي من الدنيا بزاد الراكب ولا تجددي ولا تخلعي قميصا حتى ترقعيه ﴾ وقال عليه الصلوة والسلام اللهم اجعل قوة آل محمد كفافاً وان زاد على قدر الكفاية هلك كما قال عليه الصلوة والسلام من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهلك وهو لا يشعر * وكذلك المسافر اذا أخذ ما يزيد على زاد الطريق مات تحت ثقله ولم يبلغ مقصد سفره * فالزيادة على قدر الكفاية مهلكة من ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ أن يدعو الى المعاصي فانه يمكن منها ومن العصمة ان لا تقدر * وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء والصبر مع القدرة أشد ﴿ والثاني ﴾ ان يدعو الى التنعم بالمباحات وهو أقل الدرجات فينبت على التنعم جسده ولا يمكنه الصبر عنه وذلك لا يمكن استدامته الا بالاستعانة بالخلق والالتجاء الى الظلمة وذلك يدعو الى النفاق والكذب والرياء والعداوة والبغضاء * ويتشعب منه جملة المهلكات — ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ﴿ حب الدنيا رأس كل خطيئة ﴾ ﴿ والثالث ﴾ ان يلهي عن ذكر الله عز

وجل الذى هو اساس السعادة الاخروية اذ يزدحم على القلب خصومة الفلاحين ومحاسبة الشركاء والتفكر فى تدبير الحذر منهم وتدبير استنماء المال وكيفية تحصيله اولا وحفظه ثانيا واخراجه ثالثا * وكل ذلك مما يسوّد القلب ويزيل صفاءه ويلهى عن الذكر كما قال الله تعالى ﴿ الهيكم التكاثر ﴾ الى آخر السورة *

فصل

لعلك تشتهى ان تعرف مقدار الكفاية وتقول ما من غني الا ويدعي أن مافى يده دون مقدار الكفاية ﴿ فاعلم ﴾ ان الضرورة انما تدعو الى المطعم والملبس فقط * فان تركت التجمل فى الملبس فيكفيك فى السنة دينار ان لشتائك وصيفك فتتخذ بهما ثوبا خشنا يدفع عنك الحرّ والبرد * وان تركت التنعم فى مطعمك والشبع من الطعام فى جميع احوالك فيكفيك في كل يوم مدّ فيكون في السنة خمس مائة رطل ويكفيك لادامك ان لم توسع فيه واقتصرت على اليسير منه في بعض الاوقات ثلاثة دنانير على التقريب في السنة عند رخاء الاسعار

فاذا يبلغ كفايتك خمس دنانير وخمس مايۃ رطل وهو القدر الذى نقدره اذا فرضنا نفقة العزب * فان كنت معيلا فخذ لكل واحد منهم مثل ذلك * فاذا كنت كسوبا وكسبت فى اليوم مايكفيك ليومك فانصرف واشتغل بعبادتك فان طلبت الزيادة صرت من اهل الدنيا * وان لم تكن كسوبا وكنت مشغولا بالعلم والعبادة واقتنيت ضيعة يدخل منها هذا القدر دائما * فارجو ان لاتصير بذلك من اهل الدنيا لاسيما فى هذه الاعصار وقد تغيرت القلوب واستولى عليها الشحّ وانصرفت الهمم عن تفقد ذوى الحاجات فاقتناء هذا القدر اولى من السؤال وهذا بشرط ان يكون بودّك ان تتخلص من التعرض الى الجوع والبرد لتطرّح الضيعة وتتركها ولا تكون كارها للموت ولا محبّا للضيعة * ولتكن الضيعة وهى مدخل طعامك كالخلاء الذي هو موضع فراغك فانما تريده للضرورة وبودك لو تخلصت منه لتخرج عن النهي في قوله صلى الله عليه وسلم لاتتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا * فانك اذا قصدت الفراغة للاستعانة بها على الدين كنت متزودا مسافرا لامعرّجا على

الضيعة * وربما لا يحتمل بعض الاشخاص القناعة بالقدر الذي ذكرته الا بشدة ومشقة * ولا حرج في الدين في ازدياد الضعف على هذا القدر[1] اذ لا يصير من ابناء الدنيا ولا يخرج من حزب ابناء الآخرة والمسافرين الى الله تعالى مادام يقصد بذلك دفع الالم الشاغل عن الذكر والعبادة دون التلذذ والتنعم في الدنيا * ثم مافضل من الطعام صرفه الى البائس والأرامل[2] ولا يبقى بعد هذه الرخصة داعية الى الزيادة الا للتنعم او للتصدق او للاستظهار لو اصاب المال آفة ﴿اما التنعم﴾ فاعراض عن الله تعالى واشتغال بالدنيا ﴿ واما التصدق ﴾ فترك المال افضل منه * قال عيسى عليه السلام ياطالب الدنيا لتبر فتركك لها ابر وابر ﴿ واما الاستظهار ﴾ لخوف آفة فذلك لا مرد له وهو سوء الظن لا آخر له بل ينبغي ان تدفع ذلك بحسن الظن بتدبير الله عز وجل وهو ان تتصور ان تصيب المال

---

(١) وفي النسخة الكردية فأرى انه على الضعف من هذا القدر لا تصير من أبناء الدنيا ولا تخرج الخ

(٢) وفي النسخة الدمشقية الى اللباس والادام والارامل

آفة من حيث لا يتوقع فيتصور ان ينفتح للرزق أيضاً باب لا يحتسب * ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وان فرض على الندور خلافه فلا ينبغي ان يعتقد العبد أن سلامته طول عمره عن البلاء محتوم بل البلاء هو الذي يصقل القلب ويزكيه ويخلصه من الخبائث كلها * ولهذا كان موكلا بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فاتكل على فضل الله ﴿ وأعلم ﴾ انك لا يصيبك الا ما فيه خيرك وخيرتك فان الله مدبر الملك والملكوت اعلم بمصالحك *

﴿ فصل ﴾

هذا الذي ذكرته تقريب يمكن الزيادة عليه والنقصان منه بالاجتهاد في بعض الاشخاص وفي بعض الاحوال ولكن اعتقد قطعاً ان المال كالدواء النافع منه قدر مخصوص * والافراط فيه قاتل والقرب من الافراط ممرض ان لم يقتل فعليك بالتقليل والحذر من الافراط والرفاهية — فذلك خطر عظيم * وليس في التقليل الا مشقة قليلة في ايام قلايل وذو الحزم لا يثقل عليه ان يجوّع نفسه لوليمة الفردوس لعلمه ان اللذة على قدر الجوع

﴿ فصل ﴾

لعلك ترغب فى معرفة حد البخل اذ الشخص الواحد قد تشك فى انه بخيل ام لا ويختلف الناس فيه ﴿ فاعلم ﴾ ان حد البخل منع مايوجبه الشرع او المروة ولا تظن ان من سلم الى زوجته وقريبه مافرضه القاضى * وضايق وراء ذلك فى لقمة فليس ببخيل * وان من رد الخبز واللحم الى الخباز والقصاب لنقصان قدر منه يسير ليس ببخيل وان كان له ذلك في الشرع فان معنى الشرع فى هذه الامور قطع خصومة البخلاء بتقدير مقدار يطيقه البخيل — ولذلك قال الله تعالى ﴿ ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ﴾ بل لا بد من مراعاة المروّة ودفع قبيح الاحدوثة وذلك يختلف باختلاف الاشخاص وقدر المال * ومن له مال وامكنه أن يقطع هجو شاعر وذمه عن نفسه بقدر يسير فلم يفعله فهو بخيل وان لم يكن ذلك واجبا عليه اذ قال صلى الله عليه وسلم ﴿ ماوقي المرء به عِرضَهُ فهو له صدقة ﴾ والتحقيق فيه ان المال خلق لفائدة لاجلها يمسك وفي بذله ايضا فايدة فمهما ظهر له ان فايدة البذل اعظم من فايدة الامساك ثم شق عليه البذل

فهو بخيل محب للمال * والمال لا ينبغي ان يحب لذاته بل لفائدته فيصرف الى اقوى فائدة وحفظ المروة افضل واقوى من التنعم بالاكل الكثير مثلا * وقد يحمله البخل وحب المال على ان يجهل اقوى الفائدتين واوليهما وذلك غاية البخل * فان علم وعسر عليه البذل فهو بخيل ايضا وان بذل تكلفا * بل انما يبرأ عن البخل بان لا يثقل عليه بذل المال فيما ينبغى ان يبذل فيه عقلا وشرعا * واما درجة السخاء فلا تنال الا ببذل مايزيد على واجب الشرع والمروة جميعا *

﴿ فصل ﴾

لعلك تريد ان تفهم علاج البخل ﴿ فاعلم ﴾ ان دواءه معجون مركب من العلم والعمل ﴿ اما العلم ﴾ فهو ان تعلم مافي البخل من الهلاك فى دار الآخرة والمذمة في الدنيا وتعلم ان المال لا يتبعه انْ بقي الى قبره * وانما المال لله تعالى مكنه منه ليصرفه الى اهم اموره * وتعلم ان امساك المال ان كان للتنعم في الشهوات فحسن الاحدوثة وثواب الآخرة أعظم وألذ منه * فقضاء الشهوة سجية البهايم * وهذه سجية العقلاء * وان كان يمسكه ليتركه لولده

فكانه يترك ولده بخير ويقدم على ربه بشر — وهذا عين الجهل كيف وولده ان كان صالحا فالله تعالى يكفيه وان كان فاسقا فيستعين به على المعصية ويكون هو سبب تمكنه منها فيتضرر هو ويتنعم غيره ﴿ واما العمل ﴾ فهو ان يحمل نفسه على البذل تكلفا ولا يزال يفعل ذلك حتى يصير له عادة ومن نوافذ حيلة فيه ان يخدعه بحسن الاسم وتوقع المكافاة حتى يرغب فى البذل * ثم بعد ذلك يتدرج ايضا الى قمع هذه الصفات *

﴿ الاصل السادس الرعونة وحب الجاه ﴾

قال الله عز وجل ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا فى الارض ولا فسادا ﴾ الآية وقال عليه السلام ﴿ حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام ﴿ ماذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب المال والجاه فى دين الرجل المسلم ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام في مدح الخمول رب أشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه به لو اقسم على الله لابرّه * وقال عليه الصلاة والسلام ان اهل الجنة كل أشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له

الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم * واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم وقال سليمان بن حنظلة بينما نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر فعلاه بالدّرة * فقال انظر يا امير المؤمنين ماتصنع * فقال ان هذا مذلة للتابع وفتنة للمتبوع * وقال الحسن ان خفق النعال خلف الرجل قلّ مايثبت معه قلوب الحمقاء وقال أبو أيوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه فقد عرفت بهذا مذمة الشهرة والجاه الا ان يشهر الله عبدا فى الدين من غير طلب منه كما يشهّر الانبياء والخلفاء الراشدين والعلماء والاولياء *

﴿ فصل ﴾

حقيقة الجاه هي ملك القلوب لتتسخر لذى الجاه على حسب مراده وتطلق اللسان بالثناء عليه وتسعى فى حاجته وكما ان معنى المال ملك الدراهم ليتوصل بها الى الاغراض كذلك معنى الجاه ملك القلوب لكن الجاه أحب لان التوصل به

الى المال أيسر من التوصل بالمال الى الجاه ولانه محفوظ عن ان يسرق ويغصب او تعرض له الآفة ولانه يسرى وينمو من غير تكلف * فان من ملك قلبه باعتقاد التعظيم فلا يزال يثني ويقتنص قلوب ساير الناس لصاحبه * وفيه سر آخر وهو ان الجاه معناه العلو والكبرياء والعز وهي من الصفات الالهية والالهية محبوبة للانسان بالطبع بل هو الذ الاشياء عنده وذلك لسرّ خفي في مناسبة الروح للامور الالهية وعنه العبارة بقوله تعالى ﴿ قل الروح من امر ربي ﴾ فهو امر رباني شغفه من حيث الطبع للاستبداد والانفراد بالوجود وهو حقيقة الالهية اذ ليس مع الله موجود بل الموجودات كلها كالظل من نور القدرة فلها رتبة التبعية لا رتبة المعية * فليس في الوجود مع الله غيره * وكان الانسان يشتهي ذلك بل في كل نفس ان يقول أنا ربكم الاعلى لكن اظهره فرعون واخفاه غيره ولكن ان فاته الانفراد بالوجود فيشتهي ان لا يفوته الاستعلاء والاستيلاء على الموجودات كلها ليتصرف فيها على حسب مراده وهو الالهية لكن تعذر على الانسان ذلك

في السموات والكواكب والبحار والجبال * فاشتهي الاستيلاء على جميعها بالعلم لان العلم نوع استيلاء ايضا كما ان من عجز عن وضع الاشياء العجيبة فيشتهي ان يعرف كيفية الوضع وكذلك يشتهي ان يعرف عجايب البحر وما تحت الجبال ويتصور ان يتسخر له الاعيان التي على وجه الارض من الحيوان والمعادن والنبات * فيحب ان يتملكها ويتمو لها ويتصور ان يتسخر له الانسان فيحب ان يتسخره بواسطة قلبه * ويملك قلبه بالقاء التعظيم فيه ويحصّل التعظيم بان يعتقد فيه كمال الخصال فان الاجلال يتبع اعتقاد الكمال — فلهذا يحب الانسان ان يتسع جاهه وينتشر صيته حتى الى البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطاؤها ولا يرى اهلها لان كل ذلك يناسب صفات الربوبية * وكلما صار أعقل كانت هذه الصفة عليه اغلب وشهواته البهيمة فيه أضعف *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول فاذا كان كذلك فلم كان طلب الرفعة مذموما وهو من نتائج العقل وخواص الروح المناسبة للامور الربانية ﴿فاعلم﴾

ان الرفعية الحقيقية طلبها محمود غير مذموم اذ مطلوب الكل هو القرب من الله تعالى — وذلك هو الرفعة والكمال اذ هو عز لا ذل فيه وغنى لا فقر معه * وبقاء لا فناء بعده * ولذة لا كدورة لها وطلب ذلك محمود * وانما المذموم طلب الكمال الوهمي دون الحقيقي والكمال الحقيقي يرجع الى العلم والحرية والقدرة وهو ان لا يكون مقيداً بغيره ولا يتصور للعبد حقيقة القدرة فان قدرته انما تكون بالمال والجاه وذلك كمال وهمي فانه امر عارض لا بقاء له ولا خير فيما لا بقاء له بل قيل

﴿ اشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا ﴾

كيف وهذه القدرة العارضة مع سرعة انقضائها بالموت وبآفاتها قبله لا تصفو عن الكدورات فمن توهمها كمالا فقد زل * بل الكمال في الباقيات الصالحات التي تنال بها القرب من الله سبحانه * ولا تزول بالموت بل تتضاعف تضاعفا غير محدود — وذلك هو المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وصفاته وافعاله وهو العلم بكل الموجودات اذ ليس في الوجود الا الله تعالى وافعاله * لكن قد ينظر فيها الناظر لا من حيث انها افعال الله تعالى كالذي

ينظر فى التشريح لغرض الطب او ينظر فى هيئة العالم لمعرفة الاستدلال باحكام النجوم * فهذا لاقدر له * ومن الكمال الحقيقي الحرية وهو انقطاع علاقتك عن جميع علايق الدنيا بل عن كل ما يفارقك بالموت والاقتصار في الالتفات الى لازمك الذي لابد لك منه وهو الله تعالى كما اوحى الله الى داود ياد او دانا بدُّك اللازم فالزم بدك * فالعلم والحرية من الباقيات الصالحات وهما كما لان حقيقيان والمال والبنون زينة الحياة الدنيا وهما كمالان وهميان * والمنكوسون هم الذين عكسوا الحقيقة فاعرضوا عن طلب الكمال الحقيقي واشتغلوا بطلب الكمال الوهمي وهم الذين يحترقون عند الموت بنيران الحسرة اذ يشاهدون انهم خسروا الدنيا والآخرة * واما الاخرة فلانهم يطلبونها ولم يحصّلوا أسبابها من المعرفة والحرية * واما الدنيا فلأنها ودعتهم وانقلبت الى اعدائهم وهم ورثتهم ولا تظنن ان الايمان والعلم يفارقانك بالموت * فالموت لايهدم محل العلم أصلا وليس الموت عدما حتى تظن انك اذا عدمت عدمت صفاتك بل معنى الموت قطع علاقة الروح

من البدن الى ان تعاد اليه * واذا تجرد عن البدن فهو على ما كان عليه قبل الموت من العلم والجهل * وفهم هذا طويل وتحته اسرار لايحتمل هذا الكتاب كشفها *

﴿ فصل ﴾

اذا عرفت حقيقة الجاه وماهيته وانه كمال وهمي فقد عرفت ان طريق العلاج في قمع حبه من القلب * اذا علمت ان اهل الارض لو سجدوا لك مثلا لما بقي الا الى مدة قريبة لا الساجد ولا المسجود له * كيف ويشح الدهر عليك بان يسلم لك الملك فى محلتك فضلا عن قريتك او بلدتك * فكيف ترضى ان تترك ملك الأبد والجاه الطويل العريض عند الله تعالى وعند ملائكته بجاهك الحقير المنغص عند جماعة من الحمقى لاينفعونك ولا يضرونك ولا يملكون لك موتا ولا حياة ولا نشوراً ولا رزقا ولا اجلا * نعم ملك القلوب كملك الاعيان وانت محتاج منه الى قدر يسير لتحرس نفسك عن الظلم والعدوان وعما يشوش عليك سلامتك وفراغك التى تستعين بها على دينك * فطلبك لهذا القدر مباح بشرط القناعة

بقدر الضرورة كما فى المال * وبشرط ان لا تكتسبه بالمرايات بالعبادات فذلك حرام كما سيأتي * وان لا تكتسبه بالتلبيس بان تظهر من نفسك ما انت خال عنه فلا فرق بين من يملك القلوب بالتلبيس وبين من يملك الاموال * فاذا حصلت الجاه بطريقه واقتصرت على قدر التحرز من الآفات فترجى لك السلامة الا انك فى خطر عظيم اكثر من خطر المال لان قليل الجاه يدعو الى كثيره فانه اذمن المال — ولذلك لا يسلم الدين مجانا غالبا الا لخامل مجهود لا يعرف كما فهمت ذلك من الاخبار *

﴿ فصل ﴾

من البواعث على طلب الجاه حب المدح فان الانسان يتلذذ به من ثلاثة أوجه ﴿ أحدها ﴾ انه يشعر صاحبه بكمال نفسه والشعور بالكمال لذيذ لأن الكمال من الصفات الالهية ﴿ والثاني ﴾ أنه يشعر بملك قلب المادح وقيام الجاه عنده وكونه مسخرا له ﴿ الثالث ﴾ أنه يشعر صاحبه بان المادح يصغى الى مدحه فينتشر بسببه جاهه * فكذلك اذا صدر المدح من بصير

بصفات الكمال واسع الجاه والقدرة في نفسه وكان على ملأ من الناس تضاعفت لذة المدح * وتزول اللذة الاولى بان يصدر عن غير اهل البصيرة فانه لا يشعر بالكمال * وتزول الثانية بان يصدر عن خسيس لا قدرة له لان ملك قلبه لا يعتد به * وتزول الثالثة بان يمدح في الخلوة لا في الملأ الا من حيث يتوقع انه ايضا ربما يمدح في الملأ ﴿ واما الذم ﴾ فانه مكروه انقيض هذه الاسباب ﴿ وأكثر الخلق ﴾ اهلكهم حب المدح وكراهية الذم ويحملهم ذلك على المرايات وفنون المعصية ﴿ وعلاج ﴾ ذلك ان يتفكر في اللذة الاولى فان مدح بكثرة المال والجاه فيعلم انه كمال وهمي وهو سبب فوات كمال حقيقي فهو جدير بان يحزن لاجله لا ان يفرح به وان مدح بكمال العلم والورع * فينبغي ان يكون فرحه بوجود تلك الصفات ويشكره لله تعالى عليها لا يشكر غيره هذا ان كان متصفا به ﴿ واما ﴾ ان كان غير متصف به ففرحه به حماقة كفرح من يثني عليه غيره ويقول ما أطيب العطر الذي في احشائك او امعائك وهو يعلم ما فيها من الاقذار والانتان

وهذا حال من يفرح من المدح بالورع والزهد والعلم وهو يعلم من باطن نفسه انه خال عنه ﴿ وأما اللذة الثانية والثالثة ﴾ وهو لذة الجاه عند المادح وغيره * فعلاجه ماذكرناه فى حب الجاه

﴿ الاصل السابع حب الدنيا ﴾

واعلم ان حب الدنيا رأس كل خطيئة * وليس الدنيا عبارة عن المال والجاه فقط بل هما حظان من حظوظ الدنيا * وشعبتان من شعبها وشعب الدنيا كثيرة * ودنياك عبارة عن حالتك قبل الموت * وآخرتك عبارة عن حالتك بعد الموت * وكل مالك فيه حظ قبل الموت فهو من دنياك الا العلم والمعرفة والحرية * وما يبقى معك بعد الموت فانها أيضاً لذيذة عند أهل البصاير * ولكنها ليست من الدنيا وان كانت في الدنيا ولهذه الحظوظ الدنيوية تعاون وتعلق بما فيه الحظ وتعلق باعمالك المتعلقة باصلاحها فهى ترجع الى أعيان موجودة والى حظك فيها والى شغلك فى اصلاحها ﴿ أما الأعيان ﴾ فهى الأرض وماعليها قال الله تعالى ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ﴾ الآية ومطلوب الآدمي من الأرض ﴿ أما عينها ﴾

فللمسكن والحرث ﴿ وأما نباتها ﴾ فللتداوي والاقتيات ﴿ واما معادنها ﴾ فللنقود والاواني والآلات ﴿ واما حيواناتها ﴾ فللمركب والمأكل ﴿ واما الآدميون ﴾ منها فللمنكح والاستحسان وقد جمع الله سبحانه ذلك في قوله ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ﴾ الآية ﴿ وأما حظك منها ﴾ فقد عبر القرآن الكريم عنه بالهوى فقال الله تعالى ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ وقال تعالى تفصيلا له ﴿ انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والاولاد ﴾ الآية وذلك يندرج فيه جميع المهلكات الباطنة من الغل والكبر والحسد والرياء والنفاق والتفاخر والتكاثر وحب الدنيا وحب الثناء * وهى الدنيا الباطنة ﴿ وأما الاعيان ﴾ هى الدنيا الظاهرة ﴿ وأما شغلك فى اصلاحها ﴾ فهى جملة الحرف والصناعات التي الخلق مشغولون بها * وقد نسوا فيها انفسهم ومبدءهم ومعادهم لاستغراقهم باشغالهم بها * وانما شاغلهم العلاقتان فان علاقة القلب بحب حظوظها * وعلاقة البدن بشغل اصلاحها فهذه هي حقيقة الدنيا التى حبها رأس كل خطيئة * وانما خلقت

للتزود منها الى الآخرة ولكن كثرة أشغالها وفنون شهواتها أنستهم الحمقى سفرهم ومقصدهم فقصروا عليها همتهم فكانوا كالحاج فى البادية يشتغل بتعهد الناقة وعلفها وتسمينها فيتخلف عن الرفقة حتى يفوته الحج وتهلكه سباع البادية *

﴿فصل﴾

هذه الدنيا المذمومة المهلكة هي بعينها مزرعة الآخرة فى حق من عرفها اذ يعرف انها منزل من منازل السائرين الى الله عز وجل وهي كرباط بني على قارعة الطريق * أعد فيها العلف والزاد وأسباب السفر * فمن تزود منها لآخرته واقتصر منها على قدر الضرورة التي ذكرناها في المطعم والملبس والمنكح وسائر الضرورات فقد حرث وبذر * وسيحصد في الآخرة مازرع * ومن عرج عليها واشتغل بلذاتها هلك ومثل الخلق فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وخوفهم المقام واستعجال السفينة فتفرقوا فيها * فبادر بعضهم وقضى حاجته ورجع الى السفينة فوجد مكانا خاليا واسعا * ووقف بعضهم فنظر في ازهار

الجزيرة وانوارها وظرايف احجارها وعجايب غياضها ونغمات طيورها * فرجع الى السفينة فلم يجد الامكانا ضيقا حرجا وأكب بعضهم على تلك الاصداف والاحجار وأعجبه حسنها فلم تسمح نفسه الا بان يستصحب شيئا منها فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ثقلا وضيقا فلم يقدر على رميها ولم يجد لها مكانا فحملها على عنقه وهو ينوء باعبائها * وتولج بعضهم الغياض ونسى المركب واشتغل بالتفرج فى تلك الازهار والتناول من تلك الثمار وهو فى تفرجه غير خال من خوف السباع والحذر من السقطات والنكبات * فلما رجع الى السفينة فلم يصادفها فبقي على الساحل فافترسته السباع ومزقته الهوام فهذه صورة أهل الدنيا بالاضافة الي الدنيا والآخرة فتأملها واستخرج وجه الموازنة فيها ان كنت ذا بصيرة *

﴿ فصل ﴾

من عرف نفسه وعرف ربه وعرف زينة الدنيا وعرف الآخرة شاهد بنور البصيرة وجه عداوة الدنيا للآخرة اذ ينكشف له قطعا ان لاسعادة فى الآخرة الا لمن قدم على الله سبحانه

عارفا به محبا له * فان المحبة لا تناله الا بدوام الذكر * وان المعرفة لا تنال الا بدوام الطلب والفكر * ولا يتفرغ لهما الا من أعرض عن اشغال الدنيا * ولا تستولى المعرفة والحب على القلب مالم يفرغ من حب غير الله تعالى ففراغ القلب عن غير الله ضرورة اشتغاله بحب الله تعالى ومعرفته * ولن يتصور ذلك الا لمعرض عن الدنيا قانع منها بقدر الزاد والضرورة * فان كنت من اهل البصيرة فقد صرت من اهل الذوق والمشاهدة * وان لم تكن كذلك فكن من اهل التقليد والايمان وانظر الى تحذير الله سبحانه * اياك والكتاب والسنة وقد قال عز وجل ﴿ من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها ﴾ الاية وقال تعالى ﴿ ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة ﴾ الاية وقال عز اسمه ﴿ فأما من طغى وآثر الحيوة الدنيا ﴾ الآية ولعل ثلث القرآن في ذم الدنيا وذم اهلها * وقد قال صلى الله عليه وسلم ﴿ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله تعالى منها ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الآخرة وهو يسعى لدار الغرور ﴾

وقال عليه السلام ﴿ الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون ﴾ وقال عليه السلام ان الله عزوجل لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه لم ينظر اليها منذ خلقها * وقال عليه السلام من أصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم قلبه أربع خصال هماً لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ عنه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا * وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة الا أريك الدنيا جميعها قلت نعم * فأخذ بيدى الى مزبلة فيها رؤس أناس وعذرات وخرق وعظام * فقال عليه السلام يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل آمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم ستصير رمادا وهذه العذرات ألوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها * وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون[1] عليها أطراف

(١) اي يطلبون ويكتسبون * وانتجع طلب الكلأ في موضعه

البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك * وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامه فيؤمر بهم الى النار * قالوا يارسول الله مصلين [١] قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة [٢] من الليل فاذا عُرِض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه * وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة فى قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت * وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدنيّ الدين مع سلامة الدنيا * وقال عيسي عليه السلام للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش [٣] ولبس المسوح [٤] والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وروي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها فى صورة عجوز شوهاء عليها من كل زينة * فقال لها كم نكحت فقالت

---

(١) وفى النسخة الدمشقية أو مصلين (٢) اي ساعة لطيفة
(٣) الملح الغير الطيب (٤) الثوب الخلق الخشن المرقع

اني لا احصيهم * فقال يطلقونك او ماتوا عنك فقالت بل قتلت كلهم * فقال عيسى عليه السلام عجباً لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين *

فصل

اعلم ان من ظن انه يلابس الدنيا ببدنه ويخلو عنها بقلبه فهو مغرور * وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء الا يبتلّ قدماه وكتب عليّ رضوان الله عليه الى سلمان الفارسي رضى الله عنه مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها * فاعرض عما يعجبك منها لقلة مايصحبك منها * وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها * وكن اسرّ ماتكون بها احذر ماتكون منها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور اشخصه عنه مكروه * وقال عيسى عليه السلام مثل الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله ﴿ واعلم ﴾ ان من اطمأن الى الدنيا وهو يتيقن انه راحل عنها هو في غاية الحماقة * بل مثل الدنيا مثل دار هيأها صاحبها وزينها لضيافة الوازدين والصادرين *

فدخل واحد داره فقدم اليه طبقاً من ذهب عليه بخور وريحان ليشمها ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه لجهل رسمه فظن انه وهب ذلك له * فلما تعلق به قلبه استرجع منه فضجر وتوجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلبه وانشراح صدره فكذلك سنة الله في الدنيا فانها دار ضيافته على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها ما ينتفعون به كما ينتفع بالعارية ثم يتركونها لمن يلحق بعدهم بطيبة نفس من غير تعلق القلب بها لا كمن يتعلق القلب بها *

﴿ الاصل الثامن فى الكبر ﴾

قال الله سبحانه ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ وقال تعالى فبئس مثوى المتكبرين * وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته * قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر * وقال عليه السلام يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر يطؤهم الناس لهو انهم على الله عز وجل * وقال صلى الله عليه وسلم لبلال ان

في جهنم وادياً يقال له ﴿ هبهب ﴾ حق على الله سبحانه ان يسكنه كل جبار فاياك يابلال ان تكون ممن يسكنه * وقل عليه السلام اللهم انى اعوذ بك من نفخة الكبر * وقال عليه السلام لا ينظر الله تعالى الى من جرّ ثوبه خيلاء * وقال عليه السلام من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقى الله وهو عليه غضبان وقال عليه السلام في فضيلة التواضع مازاد الله عبدا بعفو الا عزّا * وماتواضع احد لله الا رفعه الله * وقال عليه السلام طوبى لمن تواضع في غير مسكنة * واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتى ولم يتعظم على خلقي وألزم قلبه خوفى وقطع النهار بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى * وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد لله رفعه الله الى السماء السابعة * وقال عليه السلام ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا رحمكم الله * وقال عليه السلام انه ليعجبنى ان يحمل الرجل الشيء فى يده فيكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه *

فصل

حقيقة الكبر ان يرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال فيحصل فيه نفخة وهزة من هذه الرذيلة والعقيدة — ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبر — ولذلك استأذن بعضهم عمر رضى الله عنه ليعظ الناس بعد الصبح فقال لا خشى ان يتفخ حتى يبلغ الثريا * ثم هذه النفخة يصدر منها أفعال على الظاهر كالترفع فى المجالس والتقدم في الطريق والنظر بعين التحقير والغضب اذا لم يبدأ بالسلام وقصّر فى حوائجه وتعظيمه ويحمله على ان يأنف اذا وعظ * ويعنّف اذا وعظ وعلّم * ويجحد الحق اذا ناظر وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير * وانما عُظِّم الكبر حتى لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة منه لان تحته ثلاثة انواع من الخبائث العظيمة ﴿ اولها ﴾ انه منازعة الله تعالى في خصوص صفته اذ الكبرياء رداؤه كما قال الله فان العظمة لا تليق الا به * ومن أين تليق العظمة بالعبد الذليل الذي لا يملك من امر نفسه شيئا فضلا عن امر غيره ﴿ الثانية ﴾ ان يحمله على جحد الحق وازدراء

الخلق قال صلى الله عليه وسلم في بيان الكبر * الكبر من سفه الحق * وغمص الناس والانفة من الحق تغلق باب السعادة وكذا استحقار الخلق * وقال بعضهم ان الله سبحانه خباء ثلاثا في ثلاث خباء رضاء في طاعته فلا تحقرن شيئا منها لعل رضاء الله فيه وخباء سخطه في معصيته فلا تحقرن شيئا منها صغيرة فلعل سخط الله تعالى فيها وخباء ولايته في عباده فلا تحقرن احدا منهم فلعله ولي الله تعالى ﴿الثالثة﴾ انه يحول بينه وبين جميع الاخلاق المحمودة لان المتكبر لا يقدر ان يحب للناس مايحب لنفسه ولا يقدر على التواضع وعلى ترك الانفة والحسد والغضب ولا يقدر على كظم الغيظ وعلى اللطف في النصح وعلى ترك الرياء * وبالجملة فلا يبقى خلق مذموم الا ويضطر المتكبر الى ارتكابه * ولا خلق محمود الا ويضطر الى تركه

فصل

العلاج الجملي لقمع رذيلة الكبر ان يعرف الانسان نفسه وان اوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة * وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ويفهم قوله تعالى ﴿قتل الانسان ما اكفره من أي شيء

خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ﴾
فليعلم انه خلق من كتم العدم وانه لم يك شيأً مذكورا فلا شيء
اقل من العدم * ثم خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من
مضغة ليس له سمع ولا بصر ولا حيوة ولا قوة وخلق له ذلك كله
وهو بعد غاية النقصان يستولى عليه الامراض والعلل ويتضاد
فيه الطبايع فيهدم بعضها بعضا فيمرض كرها ويجوع كرها
ويعطش كرها ويريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان ينسى
الشيء فيذكره ويكره الشيء فينفعه ويشتهى الشيء فيضره
لا يأمن فى لحظة من أن يختلس روحه او عقله او صحته او
عضو من اعضائه * ثم آخره الموت والتعرض للعقاب والحساب
فان كان من اهل النار فالخنزير خير منه فمن اين يليق به الكبر
وهو عبد مملوك ذليل لا يقدر على شيء * قال الحسن البصري
رحمة الله عليه لبعض من يتبختر فى مشيته ماهذه المشية لمن
في بطنه خراء * فكيف يليق الكبر بمن يغسل العذرة بيده مرتين
فى كل يوم وهو حامل لها على الدوام *

﴿ فصل ﴾

علاج الكبر على التفصيل بالنظر الى ما به التكبر وهو اربع خصال ﴿ الاولى ﴾ العلم قال صلى الله عليه وسلم ﴿آفة العلم الخيلاء﴾ وقال عليه السلام لا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يفى علمكم بجهلكم * وقل ما يخلو العالم من آفة الكبر * فانه يرى نفسه فوق الناس بالعلم الذي هو اشرف فضيلة عند الله عز وجل ﴿ فيتكبر ﴾ تارة بالدين بان يرى نفسه عند الله عز وجل افضل من غيره * وتارة في الدنيا بان يرى حقه واجبا على الناس ويتعجب منهم ان لم يتواضعوا له — وهذا بان يسمى جاهلا اولى لان العلم الحقيقي ما يعرف به ربه ونفسه وخطر خاتمته وحجة الله عز وجل عليه * ويلاحظ الخاتمة فلا يرى جاهلا الا ويقول انه عصى الله تعالى بجهل وانا عصيته بعلم فحجة الله تعالى علي آكد * قال ابو الدرداء رضي الله عنه من ازداد علما ازداد تواضعا قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ وقال عليه السلام يكون قوم يقرؤن القرآن فلا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ

منا ومن أعلم منا * ثم التفت وقال ﴿ اولئك منكم ايها الامة ﴾ اولئك هم وقود النار * ومن هذا اشتد حذر السلف حتى انه صلى حذيفة مرة رحمه الله بقوم فلما سلم قال لتلتمسنّ اماما غيري أو لتصلنّ وحدانا اني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني * وينبغي ان يتذكر الانسان انه كم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه واستحقره ثم كانت خاتمة عمر كما كانت وذلك المسلم لعله ارتد بعده فكان المتكبر من اهل النار والمتكبّر عليه من اهل الجنة * ومامن عالم الا ويتصوران يختم له بالسوء ويختم للجاهل بالسعادة * فكيف يكون الكبر مع معرفة ذلك * وقد قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه[1] فتدور به كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمرا بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه * فايّ عالم يسلم عن ذلك فلم لا يشغله خوفه عن التكبر * وقد قال الله تعالى في بلعم بن باعورا وهو من اكابر العلماء ﴿ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث ﴾

---

(١) اى يخرج من بطنه امعائه *

الآية لأنه اخلد الى الشهوات *وقال بعلماء اليهود ﴿ كمثل الحمار يحمل اسفارا ﴾فلينظر في الاخبار التى وردت في علماء السوء حتى يغلب خوفه كبره *وانما يبقى الكبر مع هذا لمن اشتغل بعلوم غير نافعة فى الدين كالجدل واللغة وغيرهما اولمن اشتغل بالعلم وهو خبيث الباطن فازداد خبثه بسببه ﴿ السبب الثاني ﴾ الورع والعبادة ولا يخلو المتعبد فى باطنه عن كبر وقد ينتهي الحماقة ببعضهم الى ان يحمل مصايب الناس ومسراتهم على كرامته فمن اذاه ومات أو مرض يقول قد رأيتم مافعل الله سبحانه به * وربما يقول عند الايذاء سترون مايجرى عليه وليس يدري الاحمق ان جماعة من الكفار ضربوا الانبياء وآذوهم* ثم مُتِّعوا فى الدنيا فلم ينتقم منهم بل ربما اسلم بعضهم فسعد في الدنيا والآخرة فكأنه يرى نفسه افضل من الانبياء وموذيه اخس من الكفار *وحق العابد اذا نظر الى عالم ان يتواضع له لجهله وان نظر الى فاسق ان يقول لعل فيه خلقا باطنا يستر معاصيه الظاهرة ولعل في باطني حسدا اورياءً او خبثا خفيا مقتني الله سبحانه عليه فلايقبل اعمالي الظاهرة وان

الله سبحانه ينظر الى القلوب لا الى الصور * ومن الخبث الباطن الكبر اذ روي ان رجلا من بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده جلس الى عابد بني اسرائيل وقال لعل الله تعالى يرحمني ببركته *فقال العابد في نفسه كيف يجلس معي مثل هذا الفاسق* وقال له قم عني فاوحى الله سبحانه الى نبيّ زمانه مُرْهما ليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد * وروي ان رجلا وطئ رقبة عابد من بني اسرائيل وهو ساجد* فقال له ارفع فو الله لا يغفر الله لك فاوحى الله سبحانه اليه ايها المتألى عليّ بل لا يغفر الله لك فالاكياس[1] يحذرون من ذلك ويقولون ما كان يقول له عطاء السلمي مع شدة ورعه كان اذا هبت ريح عاصف او صاعقة يقول ما يصيب الناس ذلك الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وقال بعضهم في عرفات انا ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر كم بين من يخلص العمل والورع ثم يخاف على نفسه وبين من يتكلف اعمالا ظاهرة لعلها لا تخلو عن الرياء والآفات

(١) جمع كيس وهو ضد الحمق ويقال الغلبة بالكياسة

ثم يمن [1] على الله بعمله ﴿السبب الثالث الكبر بالنسب﴾ وعلاجه ان ينظر فى نسبه فان اباه نطفة مذرة وجده التراب ولا اقذر من النطفة ولا اذل من التراب * ثم المفتخر بالنسب يفتخر بخصال غيره ولو نطق آباؤه لقالوا من انت في نفسك ما انت الا دودة من بول من له خصلة حسنة — ولذلك قيل ﴿لئن فخرت بآباء ذوى نسب * لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا﴾ وكيف يتكبر بنسب ذوي الدنيا ولعلهم صاروا حممة فى النار يودون لو كانوا خنازيرا وكلابا يتخلصون مما هم فيه * وكيف يتكبر بنسب اهل الدين وهم في انفسهم ما كانوا يتكبرون وكان شرفهم بالدين * ومن الدين التواضع وكان احدهم يقول ليتني كنت تبنة وليتني كنت طايرا * كلهم قد شغلهم خوف العاقبة عن الكبر مع عظم علمهم وعملهم * فكيف يتكبرون بنسبهم من هو عاطل عن خصالهم ﴿السبب الرابع الكبر بالمال والجمال والاتباع﴾ والكبر بهم جهل فانها امور خارجة عن الذات اعنى المال والاتباع وكيف يتكبر بخصلة تمتد اليها يد السارق والغاصب

(١) وفي النسخة العراقية ثم يتمنى *

وكيف يفتخر بالجمال وحُمّى شهر تفسده والجدرى يزيله ولو تفكر الجميل في اقذار باطنه لأدهشه ذلك عن تزويق ظاهره ولو لم يتعهد الجميلُ بدنَه اسبوعا بالغسل والتنظيف لصار اقذر من الجيفة من تغيّر النكهة والصُّنان ورايحة العذرة وكراهية الوسخ والمخاط والرمص * فمن اين للمزبلة ان تفتخر بجماله والانسان بالحقيقة مزبلة فانه منبع الاقذار والنجاسات *

﴿ الاصل التاسع العجب ﴾

قال الله تعالى ﴿ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم﴾ الآية وقال عز وجل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا * وقال ولا تزكوا انفسكم هو أعلم بمن اتقى * وقال عليه السلام ثلاث مهلكات ﴿ شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ﴾ وقال ابن مسعود رضى الله عنه الهلاك فى اثنين ﴿القنوط والعجب﴾ وانما جمع بينهما لان القانط لا يطلب السعادة لقنوطه والمعجب لا يطلبها لظنه انه قد ظفر بها * وقال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخفت عليكم ماهو اعظم من ذلك العجب العجب * وقيل لعايشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا فقالت اذا ظن انه محسن

﴿ ونظر رجل ﴾ الى بشر بن منصور وهو يطيل الصلاة ويحسن العبادة فلما فرغ قال لا يغرنك ما رأيت مني فان ابليس عبد الله تعالى وصلى آلاف سنين ثم صار الى ماصار اليه*

﴿ فصل ﴾

حقيقة العجب استعظام النفس وخصالها التي هي من النعم والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم والأمن من زوالها فان اضاف اليه ان رأى لنفسه عند الله حقا ومكانا سمي ذلك ادلالا *وفي الخبر ان صلاة المدل لا ترتفع فوق رأسه وعلامة ادلاله ان يتعجب من رد دعائه ويتعجب من استقامة حال من يؤذيه* والعجب هو سبب الكبر ولكن الكبر يستدعي متكبرا عليه والعجب مقصور على الانفراد ﴿ اما ﴾ من رأى نعمة الله تعالى على نفسه بعمل او علم او غيره وهو خايف على زواله وفرح بنعم الله تعالى عليه من حيث انها من الله فليس بمعجب*بل العجب ان يأمن وينسى الاضافة الى المنعم

﴿ فصل ﴾

العجب جهل محض فعلاجه العلم المحض فانه ان اعجب بقوة

وجمال او أمر مما ليس يتعلق باختياره فهو جهل ايضاً اذليس ذلك اليه فينبغي ان يعجب بمن اعطاه ذلك من غير استحقاق * وينبغي ان يتفكر فى زوال ذلك المخوف على القرب بادنى مرض وضعف ﴿ وان اعجب ﴾ بعلمه وعمله وما يدخل تحت اختياره فينبغي ان يتفكر فى تلك الاعمال بماذا تيسرت له وانها لا يتيسر الا بعضو وقدرة وارادة ومعرفة وان جميع ذلك من خلق الله عز وجل * واذا خلق الله العضو والقدرة وسلط الدواعي وصرّف الصوارف كان حصول الفعل ضروريا * وليس للمضطر ان يتعجب بما يحصل منه اضطرارا وهو مضطر الى اختياره فانه يفعل ان شاء ولكن ان يشاء الله شاء او لم يشأ مهما خلقت فيه المشية * قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وما تشاؤن الا ان يشاء الله ﴾ فمفتاح العمل انحزام المشية وانصراف الدواعي الصارفة مع كمال القدرة والاعضاء * وكل ذلك بيد الله تعالى ارأيت لو كان بيد ملك مفتاح خزانة فاعطاك اياه فاخذت منها اموالا أتعجب بجوده اذا اعطاك المفتاح بغير استحقاق او بكمالك في اخذه واي كمال فى الاخذ بعد التمكن *

﴿ فصل ﴾

من العجايب ان يعجب العاقل بعلمه وعقله حتى يتعجب ان افقره الله تعالى وأغنى بعض الجهال ويقول كيف وسع النعمة على الجاهل وحرّمني *فيقال له كيف رزقك العلم والعقل وحرّمهما الجاهل* فهذه عطية منه أفتجعلها سببا لاستحقاق عطية اخرى بل لو جمع لك بين العقل والغنى وحرم الجاهل عنهما جميعا كان ذلك اولى بالتعجب وما تعجب العاقل منه الا كتعجب من اعطاه الملك فرسا واعطى غيره غلاما ويقول كيف يعطي الغلام لفلان ولا فرس له ويحرمني وانا صاحب الفرس وانما صار صاحب الفرس بعطائه فيجعل عطاءه سببا لاستحقاق عطاء آخر وهو عين الجهل بل العاقل يكون ابدا تعجبه من فضل الله تعالى وجوده من حيث اعطاه العلم والعقل ووفقه للعبادة من غير تقدم استحقاق منه وحرم غيره ذلك وسلط عليه دواعي الفساد واضطره اليه بصرف دواعي الخير عنه وذلك بغير جريمة سابقة منه * واذا شاهد ذلك تحقيقا غلب عليه الخوف اذ قد يقول قد انعم الله

عليّ في الدنيا من غير وسيلة وخصني به دون غيري * ومن يفعل مثل هذا بغير سبب فيوشك ان يعذب ويسلب النعم ايضا بغير جناية وسبب فماذا اصنع ان كان ما أفاضه عليّ من النعم مكرا او استدراجا فتحه كما قال الله تعالى ﴿ فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة ﴾ وكما قال تعالى ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾

﴿ الاصل العاشر في الرياء ﴾

قال الله تعالى ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ﴾ وقال تعالى ﴿ انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ وقال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك ﴾ الآية اراد به الاخلاص * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ ان أخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر ﴾ قيل وما هو قال عليه السلام الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء * وقال عليه السلام في حديث طويل يقال للغازي والعالم والمنفق اذا

قال فعلت يقال كيت وكيت اردتَ ان يقال فلان عالم او شجاع اوجواداو قارئ فيذهب به الى النار * وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو قال عليه السلام واد فى جهنم أعد للقراء المرائين وقد قال تعالى ﴿ من عمل لي عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله وأنامنه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك ﴾ وقال عليه السلام لايقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من الرياء * وقال عليه السلام ان أدنى الرياء الشرك * وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لكيلا يرى الناس انه صائم * واذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله * واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق * ولهذا قال عمر رضي الله عنه لرجل طأطأ رقبته ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب * وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى يوم القيامة باربعة اسماء ﴿ يا مرائي ياغاوي يافاجر ياخاسر ﴾ اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجرلك عندنا * وقال قتادة رحمة الله عليه اذا

رأى العبد يقول الله تعالى انظروا كيف يستهزئ بي * وقال الحسن رحمة الله عليه صحبت اقواما ان كان احدهم لتُعرضُ له الحكمة لو نطق بها نفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا الشهرة *

﴿ فصل ﴾

حقيقة الرياء طلب المنزلة فى قلوب الناس بالعبادات واعمال الخير وما يرايا به ستة اصناف ﴿الاول﴾ الرياء من جهة البدن وهو اظهار النحول والصفار ليظن به السهر والصيام * واظهار الحزن ليظن به انه شديد الاهتمام بامر الدين واظهار شعث الشعر ليظن به انه لشدة استغراقه بالدين ليس يتفرّغ لنفسه واظهار ذُبُولِ [1] الشفتين ليستدل به على صومه * وخفض الصوت ليستدل به على ضعفه من شدة المجاهدة ﴿الثاني﴾ الرياء بالهيئة كحَلْق الشارب واطراق الرأس في المشي والهدو في الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه * وتغميض العينين ليظن به انه فى الوجد والمكاشفة او غائصٌ في الفكر ﴿ الثالث ﴾ الرياء

(١) ذبل الشيء ذبولا ذهبت ندوته والذبلاء * أليابسة الشفة

في الثياب كلبس الصوف والثوب الخشن وتقصيره الى قريب من الساق وتقصير الكمين وترك الثوب مخرّقا ووسخا ليُظنّ انه مستغرق الوقت عن الفراغ له * ولبس المرقعة والسجادة ليُظنّ انه من الصوفية مع افلاسه عن حقايق التصوف * ولبس الدراعة والطيلسان [1] وتوسيع الاكمام ليظن انه عالم والتقنّع فوق العمامة بازار * ولبس الجوارب ليُظنّ انه متقشف [2] لشدة ورعه من غبار الطريق * ثم منهم من يطلب المنزلة في قلوب اهل الصلاح فيلازمَ الثوب الخَلِق ولو لبس ثوبا جديد الكان عنده كالذبح اذ يخاف ان يقول الناس قد بداله من الزهد * ومنهم من يطلب المنزلة من السلاطين والتجار * ولو لبس خلقان الثياب لازدروه * ولو لبس فاخر الثياب لم يعتقدوا زهده * فيطلب المرقّعة المصبوغة والفوطة الرقيقة والاصواف الرفيعة فيكون ثيابهم في القيمة والنفاسة

---

(١) الدراعة القميص والطيلسان فارسي معرب لباس العجم

(٢) القشف محركة قذر الجلد ورثاثة الهيئة وسوء الحال والمقشف من لايبالي بما تلطخ بجسده انتهى مصححه محي الدين صبري

كثياب الأغنياء فى اللون والهيئة كثياب الصلحاء ولو كُلّفوا ان يلبسوا الخلق لكان عندهم كالذبح خيفة عن السقوط عن اعين الاغنياء *ولو كلفوا لبس الخزو القصبي والديبقي وما يباح لبسه قيمته دون قيمة ثيابهم لاشتد عليهم خوفا عن سقوط منزلتهم عن القلوب الصلحاء* اذ يقولون بداله من الزهد ﴿الرابع﴾ الرياء بالقول كرياء اهل الوعظ والتذكير وتحسين الالفاظ وتسجيعها والنطق بالحكمة والاخبار وكلام السلف مع ترقيق الصوت واظهار الحزن مع الخلوّ عن حقيقه الصدق والاخلاص فى الباطن بل ليُظَنّ به ذلك وكادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والمبادرة الى الحديث انه صحيح أو سقيم ليظن به غزارة العلم وكتحريك الشفتين بالذكر والامر بالمعروف بمشهد الناس مع خلوّ القلب عن التفجع بالمعصية وكاظهار الغضب عن المنكرات والاسف عن المعاصى مع خلوّ القلب عن التألم به ﴿الخامس﴾ الرياء بالعمل كتطويل القيام وتحسين الركوع والسجود واطراق الرأس وقلة الالتفات والتصدّق والصوم والحج والاخبات

في المشى مع ارخاء الجفون مع ان الله تعالى عالم ان باطنه لو كان خالياً لما فعل شيئاً من ذلك بل تساهل فى الصلوة وتسرّع في المشى * وقد يفعل ذلك فى المشى فاذا شعر باطلاع غيره عليه عاد الى السكينة كي يظن به الخشوع ﴿ السادس ﴾ الرياء بكثرة التلامذة والاصحاب وكثرة ذكر الشيوخ ليظن انه لقى شيوخا كثيرة وكمن يحب ان يزوره العلماء والسلاطين ليقال انه ممن يتبرك به فهذه مجامع مايرائى به في الدين وكل ذلك حرام بل هو من الكباير * واما طلب المنزلة فى قلوب الناس بافعال ليست من العبادات وأعمال الدين فليست بحرام مالم يكن فيه تلبيس كما ذكرناه فى طلب الجاه *فاهل الدنيا قد يطلبون الجاه بكثرة المال والغلمان وحسن الثياب الفاخرة وحفظ الاشعار وعلم الطب والحساب والنحو واللغة وغير ذلك من الاعمال والاحوال ولم يحرم ذلك مالم ينته الى الايذاء بالتكبر والى اخلاق اخرى مذمومة وانما استقصينا أقسام الرياء لانه اغلب الاخلاق الذميمة على النفوس فمن لا يعرف الشر ومواقعه لا يمكنه ان يتقيه *

﴿ فصل ﴾

الرياء على درجات خبيثة ﴿احداها﴾ ان لايكون بالامور الدينية والعبادات كالذي يلبس عند الخروج ثيابا حسنة خلاف مايلبسه في الخلوة [1] وكالذى ينفق في الضيافات وعلى الاغنياء اموالا ليعتقد انه سخي لاليعتقد انه ورع صالح * فذلك ليس بحرام فان تملك القلوب كتملك الاموال * نعم القليل منه صالح نافع والكثير منه يلهي عن ذكر الله كالكثير من المال ومهما انصرفت الهمة الى سعة الجاه فيجرّ ذلك الى الغفلة والمعاصى فيكون محذورا بذلك لالنفسه * واما اظهار الشمايل التى ذكرناها ليعتقد الناسُ فيه الدينَ والورعَ حرام لشيئين ﴿احدهما﴾ انه تلبيس اذا أراد ان يعتقد الناس انه مخلص مطيع لله محبٌّ وهو بهذه النية فاسق ممقوت عند الله * ولو سلم الرجل دراهم الى جماعة يخيل اليهم انه يجود عليهم بها * وانما هى ديون لازمة عصى لتلبيسه وان لم يطلب به ان يعتقد صلاحه لان ملك القلوب بالتلبيس حرام ﴿الثاني﴾ انه اذا

(١) وفي النسخة العراقية منها ان يلبس في الملأ غير مايلبسه في الخلوة

قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزء * ومن وقف بين يدى ملك فى معرض الخدمة وليس غرضه ذلك بل غرضه ملاحظة عبد من عبيد الملك او جارية من جواريه فانظر ماذا يستحقه من النكال لاستهزائه بالملك فكأنه اذا قصد العبادَ بالعبادة فقد اعتقد ان عباد الله أقدر على نفعه وضره من الله تعالى اذ عظمة العباد فى قلبه دعته الى ان يتجمل عندهم بعبادة الله ولهذا سمى الرياء الشرك الاصغر ثمّ يزداد الاثم بزيادة فساد القصد والنية ومن المرائين من لا يطلب الا مجرد الجاه * ومنهم من يطلب ان يودع الودايع ويوقف عنده الاوقاف ومال الايتام ليختزل منها وذلك أخبث لامحالة * ومنهم من يرائي ليقصد اليه النساء والصبيان ليتمكن من الفجور أوليكثر عنده المال ليصرفه الى الخمر والملاهى * وهذا هو الاعظم اذ جعل عبادة الله تعالى وسيلة الى مخالفته والعياذ بالله *

﴿ فصل ﴾

كما يعظم الرياء ويتغلظ اثمه بسبب اختلاف الغرض الباعث عليه فيعظم أيضا بما به المراياة وبقوة قصد الرياء * اما ما به المراياة

فهي على ثلاثة درجات اغلظها ان يرائي بأصل الايمان كالمنافق يظهر انه مسلم وليس بمسلم بقلبه * وكالملحد ومعتقد الاباحة يظهر انه مستديم الايمان وقد انسل منه باطنه ﴿ الثانية ﴾ الرياء بأصل العبادات كمن يصلي ويخرج الزكاة بين يدي الناس والله يعلم من باطنه انه لو خلا بنفسه لم يفعل ذلك ﴿ الثالثة ﴾ وهي ادناها ان لا يرائي بالفرايض ويرائي بالنوافل كالذي يكثر النافلة ويحسن هيئة الفريضة ويخرج الزكاة من أجود ماله او يتهجد او يصوم يوم عرفة وعاشوراء والله يعلم من باطنه انه لو خلا بنفسه لم يفعل شيئا من ذلك * وهذا أيضا حرام وان كان لا ينتهي شدة العقوبة فيه الى حد الرياء بالاصول * وأما تغليظه بدرجات القصد فهو انه قد يتجرد قصد الرياء حتى يصلي مثلا على غير طهارة لاجل الناس او يصوم ولو خلا بنفسه لأفطر وقد يضاف اليه قصد العبادة أيضاً وله ثلاثة أحوال ﴿ أحداها ﴾ ان تكون نية العبادة باعثة مستقلة لو خلا بنفسه ولكن زاده رؤية غيره ومشاهدته نشاطا وخف عليه العمل بسببه فارجو ان لا يحيط ذلك القدر عمله

بل تصح عبادته ويثاب عليها ويعاقب على قصد الرياء او ينقص من ثوابه ﴿ الثانية ﴾ ان يكون قصد العبادة ضعيفا بحيث لو انفرد عن الناس ما استقل بالحمل على العبادة فهذا لا تصح عبادته والقصد الضعيف لا ينفي عنه شدة المقت ﴿ الثالثة ﴾ ان يتساويا القصدان بحيث لا يستقل كلّ واحد بالحمل لو انفرد أولا ينبعث للفعل باحدهما بل بمجموعهما * فهذا قد اصلح شيئا وأفسد مثله فالغالب انه لا يسلم رأسا برأس * ويحتمل ان يقال اذا تساوى القصدان * فاحدهما كفارة للآخر * وقوله تعالى ﴿ انا أغنى الاغنياء عن الشرك ﴾ يدل على انه لا يقبله ولا يثيبه عليه * اما انه يعاقبه عليه ففيه نظر فالاغلب عندى والعلم عند الله انه لا يخلو عن اثم وعقاب *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان بعض الرياء جليّ * وبعضه اخفى من دبيب النمل ﴿ أما الجليّ ﴾ فما يبعث على العمل حتى لولاه لم يرغب فى العمل واخفى منه ان لا يستقل بالحمل عليه * ولكن يخفف العمل ويزيد فى نشاطه كالذي يتهجد كل ليلة واذا كان عنده ضيف زاد نشاطه

واخفى منه ان لا يزيد نشاطه ولكن لو اطلع غيره على تهجده قبل فراغه او بعده فرح به ووجد في نفسه هزة * وذلك يدل على ان الرياء كان مستكنا في باطن القلب استكنان النار تحت الرماد حتى ترشح منه السرور عند الاطلاع وقد كان غافلا عنه قبله واخفى منه ان لا يسر بالاطلاع لكن يتوقع ان يبدأ بالسلام ويوقر ويتعجب ممن يسيء اليه ولا يسامحه في المعاملة ولا يحترمه وذلك يدل على انه يمن على الناس بعمله فكانه يتوقع احتراامهم وتوقيرهم بعبادته مع اخفائه عنهم * وأمثال هذه الخفايا لا يخلو عنها الا الصديقون * وجميع ذلك اثم ويخاف منه احباط العمل * نعم لا بأس ان يفرح باطلاع غيره عليه اذا كان فرحه بالله تعالى من حيث أظهر منه الجميل وستر منه القبيح مع انه قصد سترهما جميعا فيفرح بلطف صنع الله تعالى وكذلك يفرح لانه يبشره بانه حيث أحسن صنعه به في الدنيا فكذلك يصنع به في الآخرة * او يفرح ليقتدى به من يراه أو يطيع الله بحمده له عليه * وعلامة هذا ان يفرح أيضا اذا اطلع على غيره ممن يرتجى قدوته ومن اجل خفاء ابواب الرياء وشدة استيلائه

على الباطن احترز أولو الحزم فاخفوا عبادتهم وجاهدوا أنفسهم وقد قال علي رضي الله عنه ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخّص عليكم في السعر . اولم تكونوا تبدؤن بالسلام . الم تكن تقضى لكم الحوايج لا اجر لكم فقد استوفيتم اجوركم * فاجتهد ان أردت الخلاص ان يكون الناس عندك كالبهايم والصبيان فلا تفرق في عبادتك بين وجودهم وعدمهم وعلمهم بها أوغفلتهم عنها * وتقنع بعلم الله تعالى وحده وتطلب الاجر منه فانه لا يقبل الا الخالص كي لا تحرم عن فائدته في أحوج أوقاتك اليه *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول ما اقدر على انفكاك الرياء الخفي كما وصفته وان قدرت على الرياء الجلي فهل تنعقد عبادتي مع ذلك ﴿ فاعلم ﴾ ان وارد الرياء لا يخلو اما ان يرد مع اول العمل او في دوامه او بعد الفراغ منه اما ما يقارن الابتداء فيبطله ويمنع انعقاده ان صار باعثا مؤثرا في الحمل على العمل بل اول العقد يجب ان يكون خالصا وانما يبطل بالرياء الباعث على اصل العمل

واما اذا لم يحمل الا على المبادرة فى اول الوقت مثلا فأظن والعلم عند الله تعالى ان اصل الصلاة يصح وانما تفوته فضيلة المبادرة ويعصى بقصد المراياة به ولكن يسقط الفرض عنه واما مايرد في دوام الصلاة ان ابطل باعث الصلاة فتبطل الصلاة مثاله ان يحضر في اثناء الصلاة أوطاره أو يتذكر نسيان شيء ولو خلا لقطع الصلاة لكنه اتم حياء من الناس * فهذا لا يسقط الفرض عنه لان النية قد انقطعت وانقطع باعث العبادة * واما اذا لم تنقطع نيته لكن صار مغلوبا مغمورا كما لو حضر قوم فغلب على قلبه الفرح باطلاعهم والغمر باعث العبادة فغالب الظن انه ان انقضى ركن ولم يعاوده الباعث الاصلي فسدت صلاته لانا نستصحب نية البداية بشرط ان لا يطرء مالو قارن ابتداءها لمنع وان لم يغمر باعث العبادة ولكن حصل مجرد سرور ولم يؤثر فى العمل بل فى تحسين الصلاة فقط فغالب الظن ان الصلاة لا تفسد ويتأدى الفرض * واما ما يطرء بعد الصلاة من ذكر وسرور ومراياة فلا ينعطف على مامضى ولكن يعصى به ويأثم ويكون عقابه بقدر قصده واظهاره

ومهما ظهرت له داعية ذكر العبادة اما بالتصريح واما بالتعريض فذلك يدل على ان الرياء كان خفيا في باطنه *

﴿ فصل ﴾

اذا عرفت حقيقة الرياء وكثرة مداخلته فعليك بالتشمر في معالجته * وعلاجه في دفع الاسباب الباعثة عليه ﴿وهي ثلاث﴾ حب المدح وخوف الذم والطمع ﴿أما حب المدح﴾ كمن يهجم على صف القتال ليقال انه شجاع * او يظهر العبادات ليقال انه ورع * وعلاجه ما تقدم في علاج حب الجاه وهو ان تعلم انه كمال وهمي لا حقيقة له * وعلاجه في الرياء خاصة ان يقرر على نفسه ما فيه من الضرر فان العسل وان كان لذيذا فاذا علم ان فيه سما سهل تركه فليقرر على نفسه انه يقال له في يوم فقره بسبب ريائه ﴿يا فاجر ياغاوي﴾ استهزأت بالله عز وجل وراقبت العباد وتحببت اليهم[1] واشتريت حمدهم بذم الله تعالى وطلبت رضاءهم بسخطه * أما كان احد اهون عليك من الله تعالى فلو لم يكن الا هذا الخزي والخجلة لكان كافيا في المنع

(١) وفي النسخة العراقية وتحببت اليهم *

عنه كيف وقد انضم اليه العقوبة واحباط العبادة وانه ربما يترجح به كفة السيئات بعد ان قارنت كفة الحسنات فيكون سبب هلاكه وليقرر على نفسه ان رضى الناس غاية لاتدرك ومن طلب رضى الناس بسخط الله تعالى اسخطهم الله عليه فكيف يترك رضى الله بما لايطمع فى حصوله﴿ واما الباعث الثاني﴾ وهو الخوف من ذمهم فيقرر على نفسه ان ذمهم لن يضره ان كان محمودا عند الله عز وجل ولم يتعرض لذم الله ومقته خوفا من ذم الخلق* ويكفيه ان الناس لو علموا مافي باطنه من قصد الرياء لمقتوه ويأبى الله الا ان يكشف سره حتى يعرف نفاقه فيمقته الناس ايضا بعد ان يمقته الله عز وجل ولو اخلص واعرض بقلبه عنهم وجرّد نظره الى الله تعالى لكشف لهم اخلاصه له واحبوه ﴿واما باعث﴾ الطمع فيدفعه بان يعلم ان ذلك امر موهوم وفوات رضى الله تعالى ناجز ويعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب وان من طمع فى الخلق لم يخل عن الذل والمهانة والمنة* ومن اعرض عن الطمع فى الخلق كفاه الله تعالى وسخر له القلوب* فاذا أحضر في قلبه نعيم

الآخرة والدرجات الرفيعة وعلم ان ذلك يفوت بالرياء اعرض قلبه عن الخلق واجتمع همه وفاضت عليه انوار الاخلاص وأمده الله سبحانه بمعونته وتوفيقه *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول اني قرّرت هذا كله على نفسي * ونفر عن الرياء قلبي ولكن ربما هجم عليّ وارد الرياء بغتة في بعض العبادات عند اطلاع الخلق فما لعلاج عنه عند هجومه ﴿ فاعلم ﴾ ان اصل هـذا العلاج ان تخفي عبادتك كما تخفي فواحشك ففيه السلامة * روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذمّ الدنيا واهلها فقال له اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا * واخفاء العبادة انما يشق في البداية فاذا صار عادة ألف الطبع لذة المناجات في الخلوة * ومهما هجم وارد الرياء فعلاجه ان يجدّد على قلبك ما رسخ فيه من قبل من المعرفة بالتعرض لمقت الله عز وجل مع عجز الناس عن منفعتك ومضرّتك حتى تنبعث منه كراهية لداعية الرياء * ثم الشهوة تدعو الى اجابة الرياء بتحسين العمل والفرح به * والكراهية تدعو الى

رده والاعراض عنه وتكون اليد للاقوى * فان قويت الكراهية حتى منعتك من الركون اليه واستصحبت حالتك التي كنت عليها فلم تزد ولم تنقص ولم تتكلف اظهار الفعل وايثاره فقد اندفع عنك الاثم ولم تكلف اكثر من ذلك * واما دفع الخواطر ودفع الطبع عن الميل الى اقوال الناس فلا يدخل تحت التكليف وانما منتهى التكليف الكراهية والاباء عن اجابة الداعية

﴿ فصل ﴾

يجوز اظهار الطاعات لاجل اقتداء الناس وترغيبهم اذا صحت النية ولم يكن معه شهوة خفية * وعلامته ان يقدر أن الناس لو اقتدوا باحد اقرانه وكُفِيَ مؤنة الترغيب وأخبر بان أجره في الاسرار كاجره في الاظهار فلا يرغب في الاظهار * فان كان ميله الى ان يكون هو المقتدى به اكثر ففيه داعية الرياء لانه ان كان يطلب سعادة الناس وخلاصهم فقد حصل ذلك بغيره ولم يفته الا اظهار نفسه — وكذلك يجوز كتمان المعاصي والذنوب ولكن بشرط ان يكون غرضه ان لا يُعتقد فيه الورع بل لا يعتقد فيه الفسق ولا بأس بفرحه باستتار معاصيه وحزنه

بانكشافها اما فرحا بستر الله عليه واما فرحا بموافقة امر الله تعالى فانه تعالى يحب كتمان المعاصي وينهى عن المجاهرة بها واما لانه يكره ان يذم فيتألم به اذ التألم بذم الناس ليس بحرام بل يوجبه الطبع * وانما الحرام الفرح بمدح الناس اياه بالعبادة فان ذلك كاجر يأخذه على العبادة * واما لانه يخاف ان يقصد بسوء اذا عرفت معصيته * واما لانه يستحي من ظهورها والحياء غير الرياء ولكن قد يمتزج به * واما ترك الطاعة خوفا من الرياء فلا وجه له * قال الفضيل الرياء ترك العمل خوفا من الرياء * اما العمل لاجل الناس فهو شرك بل ينبغي ان يعمل ويخلص الا اذا كان العمل فيما يتعلق بالخلق كالقضاء والامامة والوعظ * فاذا علم من نفسه انه بعد الخوض فيه لا يملك نفسه بل يميل الى دواعي الهوى فيجب عليه الاعراض والهرب كذلك فعل جماعة من السلف * واما الصلوة والصدقة فلا يتركهما الا اذا لم تحضره أصلا نية العبادة بل لو تجرّد نية الرياء فلا يصح عمله فليتركه * اما من اعتاد فعله فحضر جماعة فيخاف على نفسه الرياء فلا ينبغي ان يتركه بل

ينبغي ان يستمر على عبادته ويجتهد في دفع باعث الرياء *

﴿ خاتمة في مجامع الاخلاق ومواقع الغرور فيها ﴾

اعلم ان الاخلاق المذمومة كثيرة ولكن ترجع اصولها الى ماذكرناه * ولا يكفيك تزكية النفس عن بعضها حتى تتزكى عن جميعها ولو تركت واحدا منها غالبا عليك فذلك يدعوك الى البقية لان بعض هذه يرتبط بالبعض ويتقاضى بعض الاخلاق الذميمة بعضا ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم والسلامة المطلقة لا تنال بدفع بعض الامراض بل انما تنال بالصحة المطلقة كما أنّ الحسن لايحصل بحسن بعض الاعضاء مالم يحسن جميع الاطراف والنجاة فى حسن الخلق * قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ أثقل مايوضع في الميزان خلق حسن ﴾ وقد قال النبي عليه السلام ﴿ بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ﴾ وقيل له ما الدين قال عليه السلام ﴿ الخلق الحسن ﴾ وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله تعالى * وقال عليه السلام أفضل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا * وقد كثرت الاقاويل في حقيقتة وبيان حده * والاكثرون تعرضوا لبعض ثمراته ولم يحيطوا

بجميع تفصيله والذى يطلعك على حقيقته ان تعلم ان الخلق والخلق عبارتان فيراد بالخلق الصورة الظاهرة وبالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد يدرك بالبصر * ومن روح ونفس يدرك بالبصيرة لا بالبصر * ولكل واحد منهما هيئة إما قبيحة وإما حسنة * والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا ولذلك اضافه الله عز وجل الى نفسه واضاف البدن الى الطين فقال ﴿ اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ﴾ ووصف الروح بأنه أمر ربانى فقال ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ واعني بالرّوح والنفس ههنا معنى واحدا وهو الجوهر العارف المدرك من الانسان بالهام الله تعالى كما قال ﴿ ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ وكما ان للحسن الظاهر اركانا كالعين والانف والفم والخد ولا يوصف الظاهر بالحسن مالم يحسن جميعها * فكذلك الصورة الباطنة لها أركان لابد من حسن جميعها حتى يحسن الخلق وهي أربعة معان * قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة * وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث فاذا استوت

هذه الاركان الاربعة واعتدلت وتناسقت حصل حسن الخلق
﴿ أما قوة العلم ﴾ فاعتدالها وحسنها أن تصير بحيث يدرك بها
الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطن
في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الاعمال * فاذا انحصلت
هذه القوة كذلك حصلت منها ثمرة الحكمة وهي رأس
الفضايل قال الله عز وجل ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى
خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب ﴾ واما قوة الغضب
فاعتدالها ان يحصل انقباضها وانبساطها على موجب اشارة
الحكمة والشرع — وكذلك قوة الشهوة * وأما قوة العدل فهي
في ضبط قوة الغضب * وقوة الشهوة تحت اشارة الدين
والعقل فالعقل منزلته منزلة الناصح * وقوة العدل هي القدرة
ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب والشهوة
وهما اللذان تنفذ بهما الاشارة وهما كالكلب والفرس للصياد *
فان حسن بعض هذه دون بعض كان كما لو حسن بعض
أعضاء الوجه فلا يطلق اسم الحسن له الا اذا حسن الجميع واعتدل
فاذا حسنت واعتدلت انشعب منه جميع الاخلاق * وأما قوة

الغضب فيعبر عن اعتدالها بالشجاعة والله تعالى يحب الشجاعة وان مالت الى طرف الزيادة سميت تهورا وان مالت الى النقصان تسمى جبنا ويتشعب من اعتدالها خلق الكرم والنجدة والشهامة والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتُّؤَدَةِ [١] وأما افراطها فيحصل منه خلق التهوّر والصَّلَف [٢] والبذح والاستشاطة [٣] والكبر والعجب * وأما تفريطها فيحصل منه الجبن والمهانة والذلة والخساسة وعدم الغيرة وضعف الحمية على الاهل وصِغَرِ النفس * وأما الشهوة فيعبر عن اعتدالها بالعفة وعن افراطها بالشره وعن تفريطها وضعفها بالخمود فيصدر من العفة السخاء والحياء والصبر والسماحة والقناعة والورع والمساعدة والظرف وقلة الطمع * ويصدر عن افراطها الحرص والشره والوقاحة والتبذير والتقتير [٤] والرياء والهتكة والمجانة والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك

---

(١) والتؤدة بفتح الهمزة وسكونها الرزانة والتأني (٢) التكلم بما يكرهه صاحبك والتمدح بما ليس عندك (٣) واستشاط عليه التهب غضباً (٤) الوقاحة بالفتح قلة الحياء * وقتر من باب قتل أى ضيق على عياله

﴿وأما قوة العقل﴾ فيصدر من اعتدالها حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن لدقايق الأعمال وخفايا آفات النفس * وأما افراطها فيحصل منه الجربزة والدهاء والمكر والخداع * ويحصل من تفريطها وضعفها البله والحمق والغمارة[1] والبلادة والانخداع — فهذه هي روابط الاخلاق * واما معنى حسن الخلق في الجميع وسط بين الافراط والتفريط فخير الامور أوساطها * وكلا طرفي قصد الامور ذميم ولذلك قال عز وجل ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ وقال تعالى ﴿والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ وقال تعالى ﴿اشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ ومهما مال واحد من هذه الجملة الى الافراط والتفريط فبعد لم يكمل حسن الخلق *

فصل

طريق اصلاح هذه الاخلاق كلها المجاهدة والرياضة * ومعنى المجاهدة ان يكلف الصفة المفرطة الغالبة خلاف مقتضاها

---

(١) الغمر الحقد وزنا ومعنى * ورجل غمر لم يجرّب الامور

فتعمل بنقيض موجبها * فان غلب البخل فلا تزال تتكلف البذل بالمجهود وتداوم عليه مرة بعد اخرى حتى يسهل عليك البذل في محله فان غلب التبذير فلا تزال تتكلف الامساك حتى يصير عادة فيسهل عليك الامساك في محله * وكذلك في خلق الكبر وسايرالاخلاق * وقد ذكرناه في كتاب رياضة النفوس على التفصيل * وينبغي ان تعلم ان من يبذل تكلفا فليس بسخيّ * وان من يتواضع تكلفا فهو ثقيل على نفسه وهو عاطل عن خلق التواضع بل الخلق عبارة عن هيئة للنفس يصدر عنها الفعل بسهولة من غير رويّة وتكلف لكن التكلف هو طريق تحصيل الخلق فانه لا يزال يتكلف أوّلا حتى يصير ذلك طبعا وعادة فيفهم من هذا ان البخيل قد يبذل وأن السخيّ قد يمسك * فلا تنظر الى الفعل بل الى الهيئة الراسخة التي تصدر منها الافعال بيُسرٍ من غير تكلف ﴿ واعلم ﴾ ان تفاوت الناس في الحسن الباطن كتفاوتهم في الحسن الظاهر ولن يسلم الحسن المطلق الا على الندور * وانما سلم ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أثنى الله سبحانه عليه فقال ﴿ وانك لعلى خلق

عظيم ﴾ وليست النجاة موقوفة على الكمال البالغ لكن على ان يكون الميل الى الحسن أكثر * فان القبيح المطلق في الظاهر ممقوت * والحسن المطلق معشوق وما بينهما درجات فالقريب من الحسن المطلق اسعد في الدنيا من القريب الى القبيح المطلق * وكذلك يتفاوت سعادة الآخرة بحسب تفاوت حسن الصورة الباطنة *

﴿ فصل ﴾

اعلم انك قد تظن بنفسك حسن الخلق وانت عاطل عنه فاياك ان تغتر * وينبغي ان تحكم فيه غيرك فتسئل عنه صديقا بصيرا لا يداهنك * وبالجملة اذا نسبك غيرك الى سوء الخلق اوشك ان تكون كذلك لان اكثر الاخلاق يتعلق بالغير فينبغي ان تظهر لهم * ومن مواقع الغرور فيه مثلا ان تغضب فتظن انك تغضب لله تعالى * وتظهر العبادة وتظن انك تظهر للاقتداء او تكف عن الأكل او عن طلب الدنيا او تكظم الغيظ * وانما يهون عليك ذلك ان تُعرَف به فيكون الرياء الباعث على الجميع * وكذلك يكثر مواقع الغرور

فيه على ما ذكرناه في كتاب الغرور * فان هذا الكتاب لا يحتمل استقصاءه *

﴿ فصل ﴾

ينبغي ان تتفقد هذه الاخلاق من قلبك وتبدأ بالأهم فالاهم فتُقبِل على أغلب هذه الصفات فتكسرُها على التدريج وأظن ان الاغلب عليك حب الدنيا * وسايرالمعاصي والاخلاق المذمومة تتبعها * ولا يمكنك الخلاص من حب الدنيا الا بان تطلب خلوة خالية وتتفكر في سبب اقبالك على الدنيا واعراضك عن الآخرة * فلا تجد له سببا الا محض الجهل والغفلة * فان أقصى عمرك في الدنيا مائة سنة * فهب ان مملكة وجه الارض تسلم لك من المشرق الى المغرب في مائة سنه أليس يفوتك بها المملكة في مدة لا آخر لها وهي مملكة الآخرة * فان كان لا يدخل في خيالك طول الابد * فقدّر الدنيا كلها مملوة ذُرة فقدّر طايرا يأخذ في كل الف الف سنة حبة واحدة فتفنى الذرة ولم ينقص من الابد شيء لان الباقي أيضاً لانهاية له كما كان قبل ذلك * وانت ترى نفسك ترضى بتعب الاسفار إمّا

في تجارة او طلب رياسة * وهذا التعب الناجز لاجل شيء موهوم ربما يدركك الموت قبله وربما لا يصفو لك ان ظفرت به وانما ترضى بذلك لانك تستحقر التعب سنة مثلا بالاضافة الى بقية العمر * وجملة عمرك بالاضافة الى الابد اقل من سنة بالاضافة الى عمرك بل لا اضافة بينهما * فتفكر فيه لينكشف لك جهلك على القرب * ولعلك تقول انما أفعل ذلك على توقع العفو فان الله تعالى كريم رحيم * فأقول ولم لا تترك الحراثة والتجارة وطلب المال على توقع العثور على كنز في خراب فان الله كريم لا ينقص من ملكه شيء لو عرّفك في منامك كنزا من الكنوز حتى تأخذه ﴿فان قلت﴾ ذلك نادر وان كان داخلا في قدرة الله تعالى ﴿ فاعلم ﴾ أن توقع العفو مع خراب الاعمال والاخلاق كتوقع كنز في خراب بل أبعد منه وأندر * وقد نبهك الله تعالى عليه وقال ﴿ وأن ليس للانسان الا ماسعى﴾ وقال الله تعالى ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ﴾ الآية ورغّبك عن طلب المال فقال الله تعالى ﴿ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ﴾ فما

بالك تكذّب بكرمه في الدنيا ولا تتكل عليه * ثم تخدع نفسك بالكرم في الآخرة وأنت تعلم أن رب الدنيا والآخرة واحد

فصل

لعلك تقول عواقب أمور الدنيا قد انكشف لي بالعيان واطمأن قلبي اليها * وأما أمر الآخرة فلم أشاهده ولست أجد تصديق الحقيقي في قلبي * فلذلك فترت رغبتي في ترك الدنيا نقداً بما هو موعود نسيئة ولست أثق به ﴿فأقول﴾ لو كنت من أرباب البصائر لانكشف لك أمر الآخرة صريحاً كما انكشف أمر الدنيا * واذا لم تكن من أهله فتفكر من أقاويل أرباب البصائر فان الناس في أمر الآخرة أربعة أصناف ﴿صنف﴾ أثبتوا الجنة والنار كما ورد به القرآن * وقد سمعت أنواع نعيمها وأنكال جحيمها ﴿وصنف﴾ لم يثبتوا اللذات والآلام الحسية بل أثبتوهما على سبيل التخيل كما في المنام حتى يكون كل واحد في جنة أو نار يراها وحده * وزعموا أن تأثير ذلك فيه كتأثير الحقيقة لان تألم النائم كتألم اليقظان وانما يخلص عنه بالتنبه * وذلك في الآخرة دائم لا انقطاع له ﴿وصنف﴾ ثالث أثبتوا آلاما

عقلية ولذات عقلية * وزعموا أن ذلك أعظم من الحسية * ومثلوا ذلك باستشعار لذة الملك واستشعار زوالها * فان زوال الملك يوثر آلاما كثيرة بدنية على مايظفر به عدوه ويأخذ مملكته ويستسخره مع ان ظفر العدو لا يولم البدن * وهؤلاء هم أصناف النظار أعنى الاصناف الثلاثة وهم الانبياء والاولياء والحكماء وكلهم اتفقوا على اثبات سعادة مؤبدة وشقاوة مؤبدة * فان السعادة لا تنال الا بترك الدنيا والاقبال على الله عزّ وجلّ * ولو مرضت ولم تكن من أهل البصيرة في طب ورأيت أفاضل الاطباء قد اتفقوا على شيء لم تتوقف في اتّباعهم ﴿ وصنف رابع ﴾ ليسوا من النظار في الامور الالهية بل من الاطباء والمنجمين اقتصر نظرهم على الطبايع الاربع ومزاجها * ورأوا قوام الروح موقوفا عليها ولم يتفطنوا لحقيقة الروح الالهيّ الحقيق الذي هو العارف بالله تعالى بل لم يدركوا الا الروح الجسماني الذي هو بخار أنضجته حرارة القلب ينتشر في العروق الضوارب الى جميع البدن فيقوم به الحس والحركة وهي الروح التي توجد للبهائم أيضاً ﴿ فأما الروح

الخاص الانساني﴾ المنسوب الى الله سبحانه حيث قال ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ فلم يتفطنوا لها فظنوا أن الموت عدم * وأنه يرجع الى فساد المزاج وأنت في حق هؤلاء بين أمرين * إما أن تجوّز غلطهم أو تعلم قطعا صحة قولهم فان جوزت خطاءهم لزمك الاعراض عن الدنيا بمجرد الاحتمال فانك لو كنت صادق الجوع وظفرت بطعام وهممت بأكله فاخبرك صبي أن فيه سمًّا وأن حية ولغت فيه قاسيت الجوع وتركت الاكل لانك تقول ان كان كاذبا فليس تفوتني الا لذة الاكل * وان كان صادقا ففيه الهلاك * وبمثل هذا الاحتمال لا يمكن الهجوم عليه فليت شعري مع احتمال الخلود في النار كيف يستجر (١) العاقل الهجوم عليه فكيف لا يكون كاليقين التام في الحذر منه حتى تنبه الشاعر عليه مع ركاكة عقله فقال *

زعم المنجم والطبيب كلاهما * لا تحشر الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر * ان صح قولي فالخسار عليكما

فان قلت انى أعلم ضرورة صدق هؤلاء فان الموت عدم وأنه

(١) وفى النسخة الدمشقية كيف تستحقر العاقل الخ

لا عقاب ولا ثواب فان الانبياء والاولياء مغرورون أو ملبّسون وانما الذي انكشفت له حقيقة الحق هو هذا الطبيب الجاهل وزعمت انى أعلم ذلك كما أعلم أن الاثنين أكثر من الواحد حتى لا يخالجني فيه ريب * فيدل هذا على فساد المزاج وركاكة العقل والبعد عن قبول العلاج * ولكن مع هذا يقال لك ان كنت تطلب الراحة فى الدنيا فقد يتقاضاك عقلك أيضا مجاهدة الشهوات وكسرها * فان الراحة فى الحرية والخلاص عن كسر الشهوات لا في اتباعها * فانها اذا سلطت على النفس فهى آلام ناجزة تحمل النفس على احتمال كل ذلّ ومشقة وما المستريح في الدنيا الا تاركها والزاهد فيها * وأما طالبها فلا يزال منها فى عناء * فالمعطل أيضا ان عقل قليلا ترك الدنيا لكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها * فان لم تكن في أمر الآخرة على تخمين ولا من مشاهدة آفات الدنيا على يقين فما أنت الا من الحمقى المغرورين ولتعلمنّ نبأه بعد حين ولذلك قال الله تعالى * ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون *

﴿ القسم الرابع في الاخلاق المحمودة وهي أيضا عشرة أصول ﴾

﴿ الاصل الاول ﴾

التوبة فانها مبدأ طريق السالكين ومفتاح سعادة المريدين قال الله تعالى ﴿ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ وقال الله تعالى ﴿ وتوبوا الى الله جميعا ﴾ وقال النبي عليه السلام ﴿ التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴾ وقال عليه السلام لَلّهُ أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض فلات دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهب راحلته فانفلتت فطلبها حتى اشتد عليه الجوع والعطش أو ما شاء الله عز وجل قال ارجع الى مكان الذي كنت فيه فانام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده وعليها زاده وشرابه * فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده *

﴿ فصل ﴾

حقيقة التوبة الرجوع عن طريق البعد الى طريق القرب